# الوجود الشيعي في المدينة المنورة في العصر الأيوبي

**د. صلاح عبد العزيز سلامة**
**جامعة طيبة– المدينة المنورة**
**المملكة العربية السعودية**

يتناول هذا البحث دراسة وتحليل قضية هامة حدثت في المدينة المنورة في العصر الأيوبي، وجاء ذكرها في بعض المصادر بطريقة توجب التوقف عندها ودراستها ومعرفة حقيقتها. تلك القضية هي انتشار المذهب الشيعي في المدينة المنورة في العصر الأيوبي. فقد ذكر كلا من ابن تيمية وابن فرحون نصوصا تدل على أن كثيرا من أهل المدينة تحولوا من المذهب السني إلى المذهب الإمامي الشيعي في تلك الفترة، بعد أن أغراهم دعاة الشيعة بالمال.

وهذه النصوص تحتاج إلى دراسة وتحليل لان أصحابها لم يقدموا معلومات كافية عن هذا الموضوع، ولم يقدموا الأدلة التي تثبت كلامهم،( كل ما قالوه هو أن ذلك حدث في تلك الفترة، بدون الدخول في تفصيلات الموضوع وبدون ذكر شواهد وحوادث تثبت كلامهم). كما لم يتم العثور إلا على بعض النصوص المتفرقة في كتب قليلة جدا تحدثت عن هذه القضية بشكل مختصر جدا، لا يمكن من خلالها وحدها التعرف على جميع جوانب هذا الموضوع.

لذا سيتم في هذا البحث مناقشة كل ذلك والإجابة على بعض الأسئلة المهمة لتوضيح حقيقة وجود الشيعة في المدينة المنورة. ومن هذه الأسئلة: هل أجمعت المصادر التاريخية على هذه القضية؟ وهل صحيح أنه تحول أكثر أهل المدينة من المذهب السني إلى المذهب الشيعي مقابل المال؟ وإذا كان ذلك صحيحا كيف تم ذلك ولماذا؟ وإن لم يكن صحيحا ، ما حقيقة هذه القضية وكيف تناولتها النصوص والتاريخية؟ ثم لماذا تم الاكتفاء بنقل نص عن وجود الشيعة في المدينة في العصر الأيوبي وما بعده؟

وبناءً على تلك التساؤلات سيتم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام:

الأول : مناقشة وتحليل أقوال المؤرخين والفقهاء حول ظهور فرقة الشيعة في المدينة المنورة وانتشارهم بها، ومعرفة درجة صحة تلك الأقوال والرد عليها بما يتوفر من أدلة عقلية وما يتوفر من نصوص ذات مصداقية.

كما سيناقش سبب سكوت كثير من المصادر التاريخية عن إعطاء معلومات مفيدة وكاملة عن هذه القضية، (قضية انتشار الشيعة في المدينة وتحول السلطة إليهم)، مثل كيف ومتى تم هذا ولماذا؟ وكيف انتهى ؟

الثاني: سيكون عبارة عن خلفية تاريخية عن الشيعة في المدينة قبيل العصر الأيوبي، وذلك لكي يسهل فهم ما حصل بعد ذلك، وسيتم فيه مناقشة أقوال العلماء والمؤرخين حول تاريخ الشيعة في المدينة، من بداية ظهورهم في الإسلام إلى ما قبل العصر الأيوبي.

الثالث: مناقشة الوجود الشيعي في المدينة المنورة في العصر الأيوبي، وسيتم خلاله دراسة وتحليل أسباب انتشار المذهب الشيعي الإثنى عشري في المدينة، وكيف تم توليهم الحكم والسلطة في المدينة في العصر الأيوبي، والمدة التي استغرقها الأماميون في نشر مذهبهم في المدينة، ودراسة علاقة شيعة المدينة الإثنى عشرية بغيرهم من الفرق الشيعية كعلاقتهم بالإسماعيلية، والزيدية، والكيسانية وعمل مقارنة بين التشيع في المدينة والتشيع في مكة، ثم كيفية القضاء على سلطتهم بها وانتهاء شوكتهم.

**١- مناقشة وتحليل أقوال المؤرخين والفقهاء حول ظهور الشيعة في المدينة المنورة وانتشارهم بها:**

وردت ثلاثة نصوص عند كل من ابن تيمية وابن فرحون تشير إلى أن أغلب أهل المدينة المنورة تحولوا من المذهب السني إلى المذهب الشيعي بسبب المال، وأنه مع بداية القرن السابع الهجري كان أكثر أهلها خارجين عن الإسلام وقد غلب فيهم الرفض.

يقول ابن تيمية: "سنة تسع وتسعين وستمائة دخل على أهل الإسلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها ما لا يعلمه إلا الله والحكايات في ذلك كثيرة ليس هذا موضعها وذلك أن سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد، أما **سكان الحجاز** فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه إلا الله وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد فلو ذلت هذه الطائفة والعياذ بالله تعالى لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس لاسيما وقد **غلب**

**فيهم الرفض** وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية".[1]

وقال أيضا: "وأما المدينة فقد تكلم الناس في إجماع أهلها واشتهر عن مالك وأصحابه أن إجماع أهلها حجة وان كان بقية الأئمة ينازعونهم في ذلك والكلام إنما هو في إجماعهم في تلك الأعصار المفضلة وأما بعد ذلك فقد اتفق الناس على أن إجماع أهلها ليس بحجة إذ كان حينئذ في غيرها من العلماء ما لم يكن فيها لاسيما من حين ظهر فيها الرفض فان أهلها كانوا متمسكين بمذهبهم القديم منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم لا سيما المنتسبون منهم إلى العترة النبوية ( ذرية النبي) وقدموا عليهم بكتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة وبذلوا لهم أموالا كثيرة فكثرت البدعة فيها من حينئذ، فأما الاعصار الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبته كما خرج من سائر الأمصار".[2]

وورد نص آخر عند ابن فرحون يقول فيه: " جاءت من العراق إلى المدينة عائلة شيعية هي عائلة ( القيشاني)[3] وكانت ثرية وراغبة في ترسيخ مذهب الامامية في المدينة،

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ٢٨/ ٥٣٣؛ الفتاوى الكبرى، تحقيق حسنين مخلوف، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ٣٤٧/٤. قال ابن جبير أثناء رحلته إلى الحج ووصفه للحجاز نصا قريبا من هذا وهو: وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى. ( ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٤) وهنا نجد ابن جبير يبالغ في حكمه وكأنه علم مذهب جميع أهل الحجاز. ومن مبالغاته أيضا انه عندما اجبر على دفع بعض الضرائب لأمراء الحجاز قال: وليتحقق المتحقق ويعتقد صحيح الاعتقاد انه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية، فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها. ( ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٥-٥٦).

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٠٠/٢٠.

[3] وقيل القاشاني وهي الاصح نسبة إلى مدينة قاشان، وقاشان بالشين المعجمة وآخره نون مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم، والعامة تقول القاشي وأهلها كلهم شيعة إماميه، ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ٢٩٥/٤. وقد ورد اسم آل القاشاني على أنهم من سكان المدينة في خبر البركان حيث نقل ابن كثير عن أبي شامة رواية لهم، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق علي معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢م ، ٢٠٢/١٣، كما ذكر السمهودي القاشاني على انه من رواة خبر البركان الذي حدث في المدينة، انظر: السمهودي، وفاء الوفا، تحقيق محمد عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٥م، ١٤٣/١. وذكر أبو العباس أحمد بن علي بن بابة القاشي وكان رجلا أديبا قدم مرو وأقام بها

فعملت بذكاء على ذلك وساعدتها الظروف العامة في ذلك الوقت. كانت واردات المدينة ضئيلة وظروف أهلها الاقتصادية متواضعة فصاروا يؤلفون ضعاف الناس بالمال ويعلمونهم قواعد مذهبهم، ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر مذهبهم وكثر المشتغلون به، وعضدهم الأشراف في ذلك الزمان، ولم يكن لهم ضد، ولا في مصر ولا في الشام من يلتفت إليهم، لان الملك العادل نور الدين زنكي كان حاكما على البلدين، لكن همه الجهاد ولا يستقر له قرار. ثم ولي بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فسار على طريقة الملك نور الدين وزاد عليه، وكان أمير المدينة أبو فليته قاسم بن المهنا يحضر معه الفتوحات، ويلازمه في الغزوات، فلم يكن أحد يجسر على الكلام في الامامية في ذلك الزمان ".[٤]

ومن خلال تحليل ودراسة تلك النصوص يمكن طرح الأسئلة التالية:

ماذا كان يقصد ابن تيمية من كلامه في النص الأول؟ وهل يستطيع أحد أن يعرف مذهب سكان إقليم كبير مثل الحجاز ويحدد ما إذا كان أغلب أهله خارجين عن الإسلام أم لا؟ هل قال ذلك وبنى حكمه هذا بعد أن زار الحجاز، أم انه كان ينقل ما يصله من أخبارها؟ وإذا زاره ما هي المدن التي زارها، وهل المدينة من ضمنها؟ وما هي المدة التي بقى فيها في كل مدينة؟ وهل تلك المدة كافية ليحكم على أغلب أهله بأنهم خارجون على الإسلام؟ أما إذا كان ينقل ما يصله من أخبارها، فما هي تلك المصادر التي نقل منها هذه المعلومات؟ ولماذا لم

---

إلى أن مات بعد الخمسمائة في كتاب ألفه في فرق الشيعة إلى أن انتهى إلى ذكر المنتظر فقال ومن عجائب ما يذكر مما شاهدته في بلادنا قوم من العلوية من أصحاب الثنايات يعتقدون هذا المذهب فينتظرون صباح كل يوم طلوع القائم عليهم ولا يرضون بالانتظار حتى إن جلهم يركبون متوشحين بالسيوف شاكين في السلاح فيبرزون من قراهم مستقبلين لإمامهم ويرجعون متأسفين لما يفوتهم قال هذا وأشباهه منامات من فسد دماغه واحترقت أخلاطه لا يكاد يسكن إليه عاقل ولا يطمئن إليه حازم وأنشد ابن الهبارية فيها وفي عدة مدن من مدن الجبل لا بارك الله في قاشان من بلد زرت على اللؤم والبلوى بنائقه ولا سقى أرض قم غير ملتهب غضبان تحرق من فيها صواعقه وأرض ساوه أرض ما بها أحد يرجى نداه ولا تخشى بوائقه فاضرط عليها إلى قزوين ضرط فتى تجد من كل ما فيها علائقه وبين قم وقاشان اثنا عشر فرسخا وبين قاشان وأصبهان ثلاث مراحل ومن قاشان إلى أردستان أربع مراحل وبقاشان عقارب سود كبار منكرة وينسب إليها طائفة من أهل العلم منهم أبو محمد جعفر بن محمد القاشاني الرازي يروي عنه أبو سهل هارون بن أحمد الأسترابادي وكتب عنه جماعة من أهل أصبهان، انظر: معجم البلدان، ٢٩٦/٤ ، وأبو بكر محمد بن إسحاق القاشاني، انظر الفهرست، ابن النديم، دار المعارف ، بيروت، ( د. ت )،٣٠٠/١، وأبو النصر القاشاني الذي وزر للمسترشد، وروى له الحافظ بن عساكر، (ت٥٣٢)، سير أعلام النبلاء، ١٥/٢٠.

٤ انظر: ابن فرحون، نصيحة المشاور، دار المدينة، المدينة المنورة، ١٩٩٦م، ص٢١١.

يشر إليها؟ وهل يقصد بالخروج عن الإسلام هو اعتناقهم للمذهب الشيعي (الرافضي)، أم أن ذلك شيء آخر اتصف به الحجازيون؟ وهل يوجد دليل على كلام ابن تيمية؟ هل يمكن أن يكون سبب هذا الكلام أن أمراء المدينة وقضاتها وأئمة وخطباء المسجد النبوي في ذلك الوقت كانوا جميعا على مذهب الشيعة فاعتقد ابن تيمية أو من نقل له أخبار المدينة أن أغلب أهلها كذلك واعتقد أن الناس على دين ملوكهم.

وبالنسبة إلى النص الثاني لابن تيمية هل يمكن أن يتم هذا التحول من كون إجماع أهل المدينة حجة وأنهم كانوا متمسكين بمذهب مالك حتى القرن السادس الهجري ثم يحدث هذا التحول الكبير ويصبح أكثر أهلها روافض وخارجين عن الإسلام؟

هل صحيح أن أغلب أهلها خرجوا عن الإسلام بسبب مادي كما يصف ابن تيمية وابن فرحون وتحولوا إلى مذهب الشيعة؟ ألا يمكن أن يكون الشيعة الذين كانوا في المدينة في العصر الأيوبي هم ممن هاجر إليها من شيعة العراق وغيرها وكانوا يشترون العبيد الصغار من داخل المدينة وخارجها ويقوموا بتعليمهم المذهب الشيعي، لذلك اعتقد البعض أن أولئك من أهل المدينة وأنهم كانوا على مذهب السنة وتحولوا إلى مذهب الشيعة؟ ولماذا لم يقدم ابن تيمية وابن فرحون وغيرهما دليلا واحدا على أن أهل المدينة تحولوا من مذهب السنة إلى مذهب الشيعة؟ هل كان من السهل أن يغير الناس معتقداتهم بسبب المال، وخصوصا إذا كان هؤلاء الناس من أهل المدينة الذين وصفهم ابن تيمية بأن عملهم كان حجة لغيرهم من المسلمين وأنهم كانوا متمسكين بمذهب الإمام مالك حتى بداية القرن السادس الهجري.

في الحقيقة إن الإجابة على كل هذه الأسئلة ليست بالأمر البسيط بسبب قلة النصوص الواردة بهذا الخصوص، ولكن سيبذل الباحث أقصى جهده للإجابة عليها.

أولا: يجب معرفة أن من أهم المدن في الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة. وهذا ما يؤكده ابن تيمية بنفسه في كتابه الفتاوى الكبرى.[٥]

ثانيا: بالنسبة إلى اختلاف التواريخ التي ظهرت في النصين الأولين هناك احتمالين لتفسير الاختلاف بينهما:

١- أن يكون هناك تعارض بين ما نقله ابن تيمية في النص الأول مع ما نقله في النص الثاني حيث يؤكد في النص الأول أنه في عام ٦٩٩هـ كان أكثر أهل الحجاز خارجين عن الإسلام وغلب فيهم الرفض. بينما يقول في النص الثاني أن أهل المدينة

---

٥ ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ٥١٦/٤.

كانوا متمسكين بمذهب مالك حتى بداية عام ٦٠٠هـ أو قبله أو بعده، ثم فسد مذهبهم بعد ذلك. ويلاحظ الفرق بين التاريخين قرن من الزمان تقريبا. ولكن هذا الاحتمال ضعيف لما سيأتي في الاحتمال الثاني.

٢- أن تكون الصفات التي وصف بها ابن تيمية أهل الحجاز موجودة قبل القرن السابع الهجري، وهذا يدل على أن هذا التحول استغرق قرنا من الزمان حتى وصل إلى هذه الحالة التي وصفها في عام ٦٩٩هـ. إذا فهذا يعني أن ذلك التغيير في مذهب أهل الحجاز وخصوصا سكان المدينة، بدأ قبل العصر الأيوبي. وهذا ما يؤكده ابن تيمية في النص الثاني وبالتحديد حين قال: لاسيما من حين ظهر فيها الرفض فإن أهلها كانوا متمسكين بمذهبهم القديم منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم.[٦]

ثالثا: يقول ابن تيمية وابن فرحون أن الذين أفسدوا مذهب أهل المدينة عائلة من رافضة المشرق من أهل قاشان، وهذا يدل على أن هذه العائلة كان لها نفوذ واسع ولديها من الأموال الكثير. ولكن من الغريب أنه لم يقم ابن تيمية ولا ابن فرحون ولا غيرهما بتقديم أية معلومات عن هذه العائلة أو كبرائها أو أحدا من أفرادها.

رابعا: بعد البحث في الكتب التي تناولت ترجمة ابن تيمية،[٧] لم يتم العثور على ما يدل على أن ابن تيمية زار المدينة وبقى فيها مدة ليحكم على مذهب جميع أهلها. بينما ذُكر في ترجمة ابن تيمية في الموسوعة الإسلامية السنة التي حج فيها، والمدة التي قضاها في الحج. وفيها أنه حج في سنة ٦٩١هـ الموافق لشهر نوفمبر سنة ١٢٩٢م وفرغ من حجه ورجع إلى دمشق بعد أربعة أشهر تقريبا أي في سنة ٦٩٢ هـ الموافق فبراير ١٢٩٣م.[٨]

---

٦ وهذا يتعارض مع ما سيتم توضيحه لاحقا من أن الشيعة لم يتولوا المناصب الهامة في المدينة إلا في نهاية العصر الأيوبي، ومن أن الفاطميين لم يعملوا على نشر مذهب التشيع في المدينة.

٧ من هذه الكتب: ابن ناصر الدين الدمشقي، الورد الوافر، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٧٢م، ١/١-١٣٨؛ أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي المقدسي، العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ١/١-٥٢٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، تحقيق محمد سيد، ط٢، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٦م، ١/١٦٨-١٨٧؛ عمر البزار، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ١/١٦-٨٧؛ مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي، الشهادة الزكية، ١/٢٣-٩٨.

٨ الموسوعة الإسلامية، ٣/٩٥١-٩٥٤.

وهذا يعني أن المدة التي قضاها في الحج اقل من أربعة أشهر، ومن الصعب التصديق بأن هذه المدة كافية لكي يتعرف على مذاهب جميع أهل الحجاز ما إذا كانوا من السنة أو أنهم خارجين عن الإسلام وأنه غلب فيهم الرفض.

خامسا: هناك احتمال أن ابن تيمية لم يزر المدينة وإنما كان يأخذ معلوماته من الثقات الذين كانوا ينقلون له أخبارها حيث يقول ابن تيمية: وقد حدثني الثقات الذين لهم خبرة بالبلاد الذين خبروا حال أهلها بما يبين ذلك ومثال ذلك أنه يوجد في الحجاز وسواحل الشام من الرافضة من ينتحلون المعصوم وقد رأينا حال من كان بسواحل الشام مثل جبل كسروان وغيره وبلغنا أخبار غيرهم فما رأينا في العالم طائفة أسوأ من حالهم في الدين والدنيا ورأينا الذين هم تحت سياسة الملوك على الإطلاق خيرا من حالهم فمن كان تحت سياسة ملوك الكفار حالهم في الدين والدنيا أحسن من أحوال ملاحدتهم كالنصيرية والإسماعيلية ونحوهم من الغلاة الذين يدعون الإلهية والنبوة في غير الرسول أو يتخلون عن هذا كله ويعتقدون دين الإسلام كالإمامية والزيدية فكل طائفة تحت سياسة ملوك السنة ولو أن الملك كان أظلم الملوك في الدين والدنيا حاله خير من حالهم.[٩]

ولكن يلاحظ في هذا النص أن ابن تيمية لم يذكر هؤلاء الثقات الذين حدثوه بأخبارها، كما أنه لم يؤكد كلامه بدليل يثبت صحة ذلك، كأن يذكر على الأقل أسماء كبار الروافض ورؤسائهم في المدينة أو شيء من أفعالهم فيها.

سادسا: إن صح قول ابن تيمية في أهل المدينة، فكيف حدث هذا التحول من كون عمل أهل المدينة ومذهبهم من أصح المذاهب، إلى أن أصبح أكثرهم خارجين عن الإسلام وغلب فيهم الرفض؟

اعتقد أنه كان يجب على ابن تيمية كفقيه يدرك قيمة السند ووجوب مصداقية الرواية أن يوضح كيف حدث ذلك، لأنه يصف في موضع آخر من نفس الكتاب أن عمل أهل المدينة ومذهبهم من أصح المذاهب خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى. يقول ابن تيمية عندما سئل عن صحة أصول مذهب أهل المدينة ومنزلة مالك المنسوب إليه مذهبهم في الإمامة والديانة وضبطه علوم الشريعة عند أئمة علماء الأمصار وأهل الثقة والخبرة من سائر الأعصار فأجاب: "الحمد لله مذهب أهل المدينة النبوية دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة إذ فيها سن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم سنن الإسلام وشرائعه وإليها هاجر المهاجرون إلى الله

---

٩ ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق محمد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٩٨٦م، ٤١٨/٦.

ورسوله وبها كان الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقا وغربا في الأصول والفروع وهذه الأعصار الثلاثة هي أعصار القرون الثلاثة المفضلة". [١٠]

سابعا: ألم يشاهد أو يسمع ابن تيمية عن كل أولئك العلماء الذين امتلأت حلقاتهم في المسجد النبوي وكل تلك العوائل السنية التي كانت بالمدينة وكل أولئك المجاورين السنة الذين هاجروا إليها بغرض العبادة وطلب العلم، وكل تلك المدارس التي كانت تدرس المذاهب السنية فقط.[١١] مع العلم أنه لم يرد نص واحد- حسب ما توصلت إليه- أنه كانت بالمدينة مدرسة واحدة كانت تدرس المذهب الشيعي، أو لو صحّ أن أغلب أهل المدينة كانوا من الروافض أما كان من الأولى انتشار المدارس الشيعية هناك؟

ثم أين علماء المدينة ووجهائها، ولماذا لم يفعلوا شيئا أمام هذا المد الشيعي وكيف سمحوا بتحول أهل مدينتهم إلى مذهب الشيعة؟ كما لوحظ من خلال دراسة موضوع التعليم في المدينة وأثر العلماء فيها، أنه كان يوجد بالمدينة علماء كثيرون جميعهم على مذهب السنة، وأن السخاوي وحده ترجم لأكثر من ١١٣ عالما سنيا كانوا موجودين في المدينة في العصر الأيوبي. كان أكثرهم مدرسين بالمسجد النبوي وفي المدارس والأربطة والبيوت التي في المدينة وكان لدى هؤلاء العلماء طلابا من السنة أيضا وكان جميع هؤلاء لديهم عوائل من السنة أيضا. فكيف يتفق هذا مع ما قيل عن أن أكثر أهل المدينة من الروافض بدون ذكر أسماء كبرائهم وعلمائهم؟

ثامنا: إذا كان ابن تيمية قال كلامه ذلك بسبب أن الأمراء والأشراف والقضاة وأئمة وخطباء المسجد النبوي كانوا من الشيعة فهذا ليس دليل على أن أكثر أهلها من الشيعة.

وأما إن كان قال كلامه ذلك بسبب أن الفاطميين(العبيديين) استولوا على الحجاز أكثر من مئة سنة - حيث ذكر ذلك أكثر من مرة- [١٢] فإن ذلك ليس دليلا على أن أكثر أهلها

---

١٠ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٠/٢٩٩.

١١ سيتم التحدث بالتفصيل في الفصول القادمة عن سكان المدينة وعلمائها وحلقات العلم في المسجد النبوي ومدارس المدينة، والتي من خلالها سيتم إثبات انه لم يكن أغلب أهل المدينة شيعة أو روافض ولا كانوا خارجين عن الإسلام.

١٢ وقال ابن تيمية: وكان صار إلى المغرب طوائف من الخوارج والروافض كما كان هؤلاء في المشرق وفي بلاد كثيرة من بلاد الإسلام ولكن قواعد هذه المدائن لا تستمر على شيء من هذه المذاهب بل إذا ظهر فيها شيء من هذه المذاهب مدة أقام الله ما بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق الذي يظهر

خارجين عن الإسلام وأنه غلب فيهم الرفض. كما يلاحظ من تاريخ الفاطميين أنهم لم يكونوا حريصين على نشر مذهبهم في البلاد التي يستولون عليها، وخير دليل على ذلك أنهم لم يتمكنوا من نشر مذهبهم الشيعي بين أهل مصر.

تاسعا: يفهم من رواية ينقلها ابن فرحون عن سلطان بن نجاد أحد شيوخ الوحاحدة (إحدى القبائل التي تعيش في منطقة المدينة) أن القاضي الشيعي كان يتحاشى القضايا الخلافية الساخنة التي تثير أهل السنة، بل ويجاملهم ولو أدى الأمر إلى الخروج عن معتقده ظاهريا، يقول سلطان بن نجاد:" أدركت القاضي سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني،[١٣] يخطب على المنبر، ويذكر الصحابة بخير ويترضى عنهم، ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدق به، يفعل ذلك كل جمعة عقب الصلاة".[١٤] فلو صحّ أن أغلب أهل المدينة من الروافض كما يقول ابن تيمية لما احتاج القاضي الشيعي لأن يتجنب القضايا الخلافية مع أهل المدينة السنيين أو أن يجاملهم بالخروج عن معتقده أو أن يخشاهم.

عاشرا: سيأتي في الحديث عن نهاية نفوذ الشيعة في المدينة ما يدل على أنهم لم يكونوا أغلبية في المدينة. فلقد روى ابن فرحون وغيره أنه لم يتبقى أثر للشيعة في العصر المملوكي وحدث ذلك بدون حرب أو قتل أو تهجير، وإنما أرسل السلطان المملوكي قاضيا

---

على باطلهم وبنو عبيد يتظاهرون بالتشيع واستولوا من المغرب على ما استولوا عليه وبنوا المهدية ثم جاءوا إلى مصر واستولوا عليها مائتي سنة واستولوا على الحجاز والشام نحو مائة سنة وملكوا بغداد في فتنة البساسيرى وانضم إليهم الملاحدة في شرق الأرض وغربها وأهل البدع والأهواء تحب ذلك منهم ومع هذا فكانوا محتاجين إلى أهل السنة ومحتاجين إلى مصانعتهم والتقية لهم ولهذا رأس مال الرافضة التقية وهي أن يظهر خلاف ما يبطن كما يفعل المنافق وقد كان المسلمون في أول الإسلام في غاية الضعف والقلة وهم يظهرون دينهم لا يكتمونه والرافضة يزعمون أنهم يعملون بهذه الآية قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه سورة آل عمران ٢٨ ويزعمون أنهم هم المؤمنون وسائر أهل القبلة كفار مع أن لهم في تكفير الجمهور قولين لكن قد رأيت غير واحد من أئمتهم يصرح في كتبه( ابن تيمية، منهاج المسلم،٦/٤٢١)

وقال في موضع آخر: ونص قوم على أنه كان يجهر بها إذا صلى بالمدينة فظن القاضي أن ذلك لأن أهل المدينة شيعة يجهرون بها وينكرون على من لم يجهر بها لأن القاضي لما حج كان قد ظهر بها التشيع واستولى عليها وعلى أهل مكة العبيديون المصريون. (ابن تيمية،مجموع الفتاوى،٢٢/٣٤٤).

١٣ هي أسرة كانت لها القضاء في المدينة المنورة ، وهم من الروافض وانتهى أمرهم سنة ٧٥٠هـ بالقضاء على أمر الشيعة في المدينة. عاتق البلادي، معجم قبائل الحجاز، دار مكة، مكة المكرمة، ١٩٨٣م، ص٢٣٣؛ حمد الجاسر ، رسائل في تاريخ المدينة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٢م، ص١٤٨-١٥٠.

١٤ ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٢٠٩.

سنيا وأسند إليه وظيفتي الخطابة والإمامة وأمر أمير المدينة بالإحسان إليه وإلى أهل المدينة السنة فانتهى حكم الشيعة وقيل أنهم عادوا جميعا سنة. فلو كان أكثر أهل المدينة شيعة لما كان من السهل وبهذه الطريقة البسيطة يتم تغيرهم أو القضاء على نفوذهم وإعادة القوة للسنة.

حادي عشر: لم يقدم ابن تيمية ولا ابن فرحون ولا غيرهما اسم شخص واحد من أهل المدينة كان سنيا وتحول إلى مذهب الشيعة. كما أنه لا يوجد عند ابن فرحون وابن تيمية غير هذين النصين الذين يتحدثان عن بداية الشيعة ودخول آل القاشاني إلى المدينة والدعوة إلى مذهبهم.

ثاني عشر: من الأشياء التي تدل على عدم وجود أعداد كبيرة للشيعة في المدينة أن ابن فرحون لم يذكر سوى اسم ثلاث عوائل من الشيعة هم الأشراف وآل سنان وآل القيشاني، كما أنه لم يحدد أعدادهم.[١٥] فكيف أصبح أغلب أهل المدينة شيعة؟ وسيأتي فيما بعد توضيح للفئات التي سكنت المدينة والتي يستدل منها أن الأغلبية كانت لأهل السنة وليس للشيعة.

ثالث عشر: لم يتم العثور في الكتب المتخصصة على اسم لعالم أو إحدى الشخصيات المهمة أو المشهورة من شيعة المدينة في العصر الأيوبي، أو يتحدث عن انتشار المذهب الشيعي فيها، بالرغم من أن ابن فرحون يؤكد وجود علماء ودعاة شيعة في المدينة في تلك الفترة.[١٦] وهذه الكتب هي:

- كتاب الحقائق الخفية للأعظمي، والذي يتحدث في أحد فصوله عن كتب الفاطميين، ولكن لم يكن من بين تلك الكتب أي كتاب له علاقة بتاريخ الفاطميين في المدينة أو عن انتشار التشيع بها أو أسماء لبعض الشيعة بها.[١٧]
- كتاب لباب الأنساب للمؤرخ الشيعي الإمامي أبو الحسن البيهقي الشهير بابن فندق، وهو كتاب عن مشاهير الأشراف والشيعة، وأيضا لم يذكر اسم عالم شيعي في المدينة في

---

١٥ السابق، ص٢٤.

١٦ يؤكد ابن فرحون على وجود علماء شيعة من الامامية كانت لهم أماكن في المسجد النبوي يتدارسون فيها، يقول ابن فرحون أثناء حديثه عن ما أُحدِثَ من الزيادة على الحجرة الشريفة من بناء مقصورة كبيرة عملت في البداية وقاية من الشمس إذا غربت، أن الامامية من الشيعة تخذوها مكانا لصلاتهم، وأنها كانت مواطن تدريسهم وخلوة علمائهم.(ابن فرحون ص٢٢) لكن لم يذكر ابن فرحون اسم واحد من علمائهم أو مدرسيهم.
ويذكر أيضا انه أدرك قراء الامامية وأئمتها إذا دخل شهر رمضان يجلسون حول الروضة يدعون في كتبهم ويرفعون أصواتهم.( ابن فرحون ص٢٤) ولم يحدد اسم احد هؤلاء القراء أو الأئمة.

١٧ الاعظمي، الحقائق الخفية، ص ١٨٥-١٩٠.

عصره أو قبل ذلك وكان يركز على ذكر تراجم الشيعة من آل البيت على حد قوله، حتى أنه تعرض لذكر قضاة مكة ولم يذكر قضاة المدينة الذين كانوا من الشيعة .[١٨] وكل ما ذكره عن المدينة يتلخص في الأتي: :"انساب أمير المدينة عز الدين قاسم بن مهنا ، وأسماء أبنائه وأحفاده وكيفية توليه إمارة المدينة، وذكر اسم لقاضي المدينة وهو كمال الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن ميمون ، واسم نسابة المدينة السيد غياث بن محمد بن غياث".[١٩] كما ذكر اسم أبو محمد القاسم بن الأمير الحسن بن زيد بن الحسن، ووصفه بأنه عالم زاهد ومفتي بالمدينة.[٢٠] وأخيرا ذكر اسم خطيب المدينة شرف الدين علي بن عبد الله بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الوهاب بن المهنا.[٢١] ومن الملاحظ على كلام ابن فندق أنه لم يذكر ترجمة كاملة عن الأشخاص الذين ذكرهم واكتفى بذكر الاسم والوظيفة، ولم يقدم تاريخ ولادتهم أو وفاتهم. كما أنه ذكر اسم قاضي المدينة من غير أسرة ابن سنان الذين قال عنهم ابن فرحون أنهم منذ تولوا القضاء استمر أبناؤهم في هذا المنصب حتى تحول في عصر المماليك إلى أهل السنة.[٢٢]

- كتاب التحبير للسمعاني(ت٥٦٢هـ) وهو كتاب في تراجم أعلام المشرق الإسلامي في عصره: ولم يرد في كتابه أي من العلماء الذين جاوروا بالمدينة أو أي اسم لأحد الشيعة أو حتى لعائلة القاشاني التي أتى فرع منها من المشرق إلى المدينة ونشروا المذهب الشيعي فيها.[٢٣]
- كتاب أصل الشيعة وأصولها لمحمد آل كاشف الغطاء والذي يعتبر من كتب الشيعة المهمة التي تحدثت عن انتشار التشيع، ولكن لا يوجد في الكتاب أية إشارة لموضوع الشيعة في المدينة.[٢٤]

---

١٨ ابن فندق، لباب الأنساب، ٥٣٢/٢.

١٩ المصدر السابق، ٥٣٣/٢-٥٣٤.

٢٠ المصدر السابق ، ٥٦٠/٢.

٢١ المصدر السابق ، ٦١٧/٢.

٢٢ ابن فرحون، ص ٢٣-٢٤.

٢٣ انظرابو سعد عبد الكريم السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق خليل منصور،دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٧، ج١-٢.

٢٤ محمد آل كاشف، اصل الشيعة وأصولها، مؤسسة الأعظمي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٥٥-٥٩.

- كتاب الفضائل الجلية والأنساب المطلبية للبرادعي وهو كتاب في تراجم ذرية علي بن أبي طالب. لا يوجد في الكتاب ذكر لشيعة المدينة من آل علي في العصر الأيوبي.[٢٥]

وبعد كل هذا أليس من المفروض لو صح ما قاله ابن تيمية وابن فرحون عن تحول كثير من أهل المدينة إلى المذهب الشيعي أن يذكر هذا الحدث كُتاب ومؤرخي الشيعة وغيرهم لأنه يعتبر من الأحداث الإيجابية لهم حيث إنه ليس بالأمر البسيط تحول أهل المدينة إلى مذهبهم فهذا يعطي لمذهبهم قوة ومكانة أفضل. فلو صح رأي ابن تيمية وابن فرحون لكان من الغريب جدا إهمال مؤرخي الشيعة لذكر هذا الموضوع وإهمال أسماء وتراجم وتاريخ الشيعة بالمدينة.

كما أنه تم الرجوع لكتب المعاجم التي ألفت عن المدينة مثل معجم ما ألف عن المدينة للصاعدي، ومعجم المدينة المنورة في آثار المؤلفين لعسيلان، ومعجم جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ومعجم مخطوطات مكتبة بشير أغا بالمدينة، والفهرس المختصر لمخطوطات مكتبة الحرم المكي، ومعجم مخطوطات الخزانة الهاشمية الخاصة بالمدينة، والفهرس التحليلي للكتب الموجودة في مكتبة آل البيت بالأردن، وفهرس مكتبة الحرم المدني ومكتبة عارف حكمت، فلم أجد كتابا واحدا مخصص لدراسة موضوع الشيعة في المدينة أو ذكر في ثناياه ما يؤيد كلام ابن تيمية وابن فرحون عن تحول كثير من أهل المدينة إلى المذهب الشيعي.

رابع عشر: كان ابن فرحون حين يتحدث عن الشيعة لا يذكر أسماء الأشخاص بل يكتفي بذكر اسم العائلة كأن يقول "كان آل سنان" أو "آل القيشاني" أو "الأشراف". ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن فرحون عن إدراكه لبعض البدع التي كان يفعلها مجموعة من آل سنان وغيرهم، كانوا إذا أقبل الحاج يسارعون إلى الحجرة بصناديق وكراسي ينصبونها حول الحجرة يتخذونها مقامات يجلسون عليها ويقومون بالدعاء ليعطيهم الناس بعض المال والهدايا.[٢٦]

ويلاحظ أن ابن فرحون يحصر الشيعة الإمامية في المدينة في بعض نصوصه في عائلتين فقط هما آل سنان وآل القيشاني في النص التالي: " ولقد أدركت جماعة من المجاورين والخدام لا يقرؤون كتبهم ولا يسمعون حديث نبيهم إلا خفية حتى قدم الصاحب ابن

---

٢٥ أحمد البرادعي، الفضائل الجلية، دار الاتحاد الاخواني، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٦ ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٢٣.

حنا الذي قام على آل سنان والقياشين فهابوا مكانه من السلطان وأذعنوا واستعملوا التقية حتى رجعوا فيما زعموا كلهم سنة".[٢٧]

ختاما لا أحد يستطيع أن ينكر وجود جماعات من الشيعة في المدينة في العصر الأيوبي وأنه كانت بيدهم بعض المناصب المهمة فيها إلا أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بأن أغلب أهلها تحولوا إلى المذهب الشيعي.

وصحيح أنه كان يوجد شيعة في المدينة في العصر الأيوبي وصحيح انه كان لهم أثر في مختلف جوانب الحياة فيها ولكن لم يكونوا أغلبية ولم يكن أثرهم كبيراً أو قوياً ولم يغيروا من مجريات الأحداث ولم يؤد وجودهم إلى نشوب خلافات طائفية كما سنرى في الصفحات التالية.

**٢- خلفية تاريخية عن الشيعة في المدينة المنورة قبيل العصر الأيوبي:**

إن الحديث عن موضوع انتشار الشيعة بالمدينة يقتضي العودة إلى الأحداث المرتبطة بقضية ظهور الشيعة قبل تلك الفترة، والحديث عن تاريخ الشيعة والمراحل التي مر بها وانتشاره في الحجاز حتى يمكن إعطاء صورة واضحة عن الموضوع، ويسهل الإجابة على كل التساؤلات التي طرحت في هذا البحث.

أولا يجب تعريف معنى الشيعة، حيث يمكن تعريف كلمة الشيعة في اللغة على أنها الفرقة، قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾[٢٨] أي أحزابا وفرقا. وفي العرف الشرعي: هم أتباع علي كرم الله وجهه وأبنائه[٢٩]، وقيل هم الذين شايعوا عليا وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وقالوا أن الإمامة لا تتم باختيار العامة بل هي قضية أصولية وركن من أركان الدين لا يجوز للرسول إغفاله ولا تفويضه للعامة.[٣٠]

وقد اختلف الباحثون في تحديد الفترة الزمنية التي نشأت فيها هذه الفرقة وربطوا نشأتها بأحداث سياسية، و كان من هذه الآراء من يرجع ظهور هذه الفرقة إلي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم – أي في المدينة المنورة – حيث كان بعض الصحابة يفضل علياً على

---

٢٧ ابن فرحون، المرجع السابق، ص ٢٤.

٢٨ سورة الأنعام آية ١٥٩.

٢٩ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، مطبعة قاصد خير، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٦.

٣٠ محمد الشهرستاني، كتاب الملل والنحل ، ١٩٢٣م، ص١٠٨-١٠٩.

غيره من الصحابة، ومن هؤلاء- الذين يفضلون علي على غيره - عمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبو أيوب الأنصاري وبنو هاشم وبنو العباس. وقد أستدل بعض أصحاب هذا الرأي بأحاديث نسبوها إلى النبي، فقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[31] أن النبي قال عن علي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة يبعثون راضين مرضيين.[32] والى مثل هذا الرأي يذهب شيعي آخر إذ يدعي إن الدعوة إلى التشيع بدأت في اليوم الذي نزلت فيه آية: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[33] فجمع النبي بني هاشم وقال لهم أيكم يؤازرني ويساعدني في الدعوة إلي الله ليكون أخي ووارثي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي؟ فلما لم يجبه إلى ما أراد غير علي قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا أخي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا.[34]

ويدعي شيعي آخر أن أول اسم ظهر في الإسلام - للذين يوالون علي رضي الله عنه- على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشيعة وكان هذا لقب لأربعة من الصحابة هم أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن عمرو وعمار بن ياسر، كما يذكر أن الذين بايعوا عليا يوم **غدير خم** وعددهم أربعون ألفا كانوا من شيعته أيضا.[35]

يلاحظ مما سبق أن أصحاب هذا الرأي من علماء الشيعة حرصوا على أن يردوا أصل التشيع إلى عهد النبي ليجعلوا بذرته إسلامية خالصة، وينفوا ما يشاع عن مذهبهم من رد عناصره إلى أصول أجنبية.

---

٣١ سورة البينة آية ٧.

٣٢ محمد كاشف الغطاء، أصل الشيعة ، ص٨٧. وانظر أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٢٨-٣١. وهذا الحديث موضوع كما بينه الألباني رحمه الله، وفيه أبو الزبير وهو مدلس وقد عنعنه (السلسلة الضعيفة ٤٩٢٥).

٣٣ سورة الشعراء، آية ١١٣.

٣٤محمد الحسين المظفري، تاريخ الشيعة، مطبعة الزهراء، النجف، ١٣٥٢، ص٩. والغريب في هذا النص أنه كيف يطلب الرسول من عشيرته السمع والطاعة لعلي وقد رفضوا إجابة دعوته. وقد ذكر أهل العلم أن هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على النبي، انظر ابن تيمية، منهاج السنة، ٢٩٩/٧-٣٠٣.

٣٥ محمد حسين العاملي، الشيعة في التاريخ، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٨م، ص٢٥. و يقال أنه بغدير خم - الذي هو مكان بين المدينة ومكة-، قال النبي لعلي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذلك عندما عاد من حجة الوداع. انظر حول هذه القصة عند ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥٤/٣، ومنهاج السنة، ٣٢،٤٥/٧، ٥١، ٥٤، ٣١٣-٣١٩.

وهنا يجب الانتباه إلى أنه لم يظهر من هؤلاء الصحابة أية أفكار أو معتقدات مختلفة عن ما لدى بقية المسلمين وإنما كانوا يرون في علي صفات جعلتهم يحبونه ويفضلونه على بقية الصحابة.

ويرجع فريق آخر بداية التشيع إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث التف حول علي جماعة من الصحابة ترى أنه الأحق بالخلافة لصفات رأوها فيه،[٣٦] وهنا أيضا يرى أصحاب هذا الرأي أن هذه الفرقة نشأت في المدينة.[٣٧]

وهناك فريق ثالث يرجع نشأة هذه الجماعة إلى الثورة على عثمان ابن عفان رضي الله عنه،[٣٨] أو حركة ابن سبأ– اليهودي الأصل – الذي دعا إلى فكرة قداسة علي وأنه هو

---

٣٦ اختلف المسلمون بعد وفاة الرسول في من يتولى الخلافة من بعدة وكانت هذه أول مسالة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين وتشعبت فيها وجهات نظرهم ،وذلك لان النبي قد توفى ولم يعين من يخلفه على ولاية المسلمين ولم يرد أي نص من القران يحدد ذلك وقد شعر المسلمون منذ اللحظة الأولى لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم بضرورة التفكير في من يلي أمرهم ، وأسرع الأنصار إلى سقيفة بني ساعده للتشاور في الأمر وأدركهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح من المهاجرين ، وهناك انقسم المسلمون إلى فريقين ، فريق يرى وهم الأنصار أن يكون الخليفة منهم لأنهم هم الذين نصروا الرسول عندما هاجر إليهم ، وامنوا به وساعدوه في نشر الدين وحموه وأصحابه من أعدائهم، وفريق آخر وهم المهاجرون يرون أن تكون الخلافة فيهم ، لأنهم قوم الرسول وعشيرته وأول من امن به وصبروا معه على الأذى ، وهم من قريش . والعرب لا تعترف بسيادة احد عليها إلا قريش، وقد جاء في الحديث ( الأمة من قريش ما حكموا فعدلوا) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧م، ١٩٤/٥، لذلك قال أبو بكر لعمر : ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر أنت أفضل مني ، أمرك رسول الله أن تصلي بالناس حين كان مريضاً فكيف لا نرضى لديننا من رضيه رسول الله لديننا ثم اخذ عمر يذكر فضل أبي بكر ثم مد يده إلى أبي بكر وبايعه وبايع من كان موجوداً في السقيفة. وفي اليوم التالي قام عمر في المسجد يقول للناس : إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بأمركم فبايعوه ، فبايعه الناس وسكنت الفتنة ، ألا انه يمكن القول انه كان هناك رأي آخر في الخلافة وهي أن تكون في بيت الرسول وعلى الأخص في علي ابن أبي طالب ، ولكن علي ابن أبي طالب رفض المطالبة= =بالخلافة مخافة الفتنة ورغم أن هذه الخلافات التي ظهرت عقب وفاة النبي قد انتهت آثارها إلا أن الحال لم يدم على ذللك طويلاً فقد جد من الأحداث والفتن بعد ذلك ما جعل المسلمين يختلفون فيما بينهم .

٣٧ انظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق محمد محمود الراضي، ١٣٢٢،ج١، ص٨–١٠؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٣، ص٢٠٩؛ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، مطبعة قاصد خير، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٥٦؛ جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف وآخرون، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٥م، ص١٧٤.

٣٨ كانت بداية هذه الفتنة عندما خرج على عثمان جماعة من أهل مصر والكوفة والبصرة ليخلعوه من الخلافة ، لأنة حرق المصاحف وجمع الأمة على مصحف واحد ، ووظف اقر باءه وولاهم على المدن المفتوحة ، وآثر

صاحب الحق الأول في الخلافة، وابن سبأ هو أول من هاجم الخلفاء الثلاثة الأوليين واعتبرهم مغتصبين.[٣٩] ويرى بعض أصحاب هذا الرأي أن نسبة التشيع لابن سبأ ترجع فكرة التشيع إلى أصل غير إسلامي أو بالأحرى إلى أصل يهودي، وبالتالي يخرجون جميع فرق الشيعة من الإسلام.[٤٠]

ويرد بعض الكتاب على أصحاب هذا الرأي بأنه لا يمكن أن يكون التشيع كعقيدة قد ظهر في وقت مبكر مثل عهد عثمان، وأنه من السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكري العميق فيحدث هذا الانشقاق العقائدي بين المسلمين، بل أنكر البعض وجود ابن سبأ أصلا، وقالوا أن المؤرخين الذين ذكروا ابن سبأ ودوره في الفتنة، إنما كانوا يريدون أن يلقوا بمسؤولية تفرق المسلمين ومحاربتهم لبعض على شخص من غير الصحابة فاخترعوا قصة ابن سبأ.[٤١]

---

أقرباءه بالمال فقد أعطى مروان ابن الحكم مائة ألف دينار وكتب له خمس غنائم مصر وكذلك ردة للحكم ابن أمية إلى المدينة بعد أن طردة النبي منها وكان يسمى طريد رسول الله ونفيه أبا ذر الغفاري الصحابي الجليل إلى الربذة لأنه كان يعترض على ترف الولاة الذين ولاهم عثمان على الأمصار . وقد رد عثمان على كل ما أثاروه حوله فقال انه جمع القران ولم يكن أول من فعل ذلك لما رآه من اختلاف الناس فيه ، وأما توظيفه لأقربائه فقد كان أكثرهم صاحب وظائف مهمة قبل أن يصبح هو خليفة وانه لم ينفي أبا ذر وإنما هو من اختار الخروج إلى الربذة لأنه كان زاهداً، وقد رضي الناس بعد ما سمعوا من عثمان واصطلحوا ودخلوا المدينة ،ولكن يبدوا انه كانت هناك أيادي خفية لا تريد للفتنة أن تخمد ، فتذكر بعض المصادر التاريخية انه كان لعبد الله ابن سبأ ( ابن السوداء ) اليد الطولى في تلك الفتنة .وكان أول أمره يهودياً ثم اسلم أو تظاهر بالإسلام واندس بين المسلمين ينشر سمومه حتى قتل عثمان مظلوماً ، واشتعلت الفتنة التي أدت إلى انشقاق المسلمين واختلافهم وقيام الحروب فيما بينهم .

٣٩ انظر: أبو الحسن المطلي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٩، ص٢٥؛ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة؛ ١٩٦٥م، ج٢، ص١٨؛ محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية، نشر إدارة الثقافة بوزارة التربية، القاهرة، ص ٤٦؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٣٥-٣٦.

٤٠ انظر عبد الله القسيمي، الصراع بن الإسلام والوثنية، المطبعة السلفية، القاهرة، هـ١٣٥٦، ص٤١؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٣٧

٤١ انظر: برنارد لويس، أصول الإسماعيلية، ترجمة خليل جلو وجاسم الرجب، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٣٨م، ص٨٦-٨٧؛ طه حسين، علي وبنوه، ص٩٨-١٠٠؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٣٩-٤٠.

ويبدو أن هؤلاء المشككون في قصة ابن سبأ قد بنوا كلامهم على آرائهم الشخصية فقط، فما الذي يمنع وجود ابن سبأ وأن يكون لديه ذلك الفكر المنظم والرغبة في إحداث الفتنة بين المسلمين، لان الاحتجاج بأن المجتمع كان مازال قبليا ولا يمكن وجود مثل هذا الفكر، غير مقنع، والدليل ما وصل إليه هذا ألمجتمع القبلي من قوة في فترة قصيرة، كما أن الاحتجاج بعدم ذكر ابن سبأ في معركة صفين ليس دليلا على عدم وجود ابن سبأ– كما زعم طه حسين،[٤٢] لأنه من المعلوم أن عليا قد نفاه إلي المدائن بعد أن قال لعلي أنت ألإله. أما من لم يقتنع بقصة ابن سبأ بسبب وجود صحابة الرسول في ذلك الوقت، فقد كان في زمن الرسول نفسه من يستمع للمنافقين كما قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾.[٤٣]

ثم هناك من يقول أن نشأة التشيع كانت في خلافة علي، وبالأخص عند التحكيم بين علي ومعاوية وظهور فرقة الخوارج،[٤٤] فاجتمع أنصار علي حوله في مواجهة خصومه.[٤٥]

---

٤٢ طه حسين، علي وبنوه ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م ، ص٩٨

٤٣ سورة التوبة آية٤٧

٤٤ كان معاوية بن أبي سفيان والي الشام من قبل عثمان قد طالب هو أيضا بالثأر لعثمان ورفض أن يبايع علي بن أبي طالب بالخلافة . وزاد الخلاف بين علي ومعاوية عندما عزل علي معاوية عن حكم بلاد الشام . فأخذ معاوية يثير الناس على علي ويحرضهم على القتال معه للأخذ بثأر عثمان فوافقه أهل الشام أن يقاتلوا معه ، وبعد أن فرغ علي من معركة الجمل ، سار إلى الشام ، فخرج له معاوية بجيشه ، فالتقى الجيشان في منطقة صفين في شهر محرم من سنة سبع وثلاثين من الهجرة، وأثناء المعركة شعر معاوية بالهزيمة فعمد إلى حيلة وهي المطالبة بتحكيم كتاب الله بينهم وأمر جنده أن يرفعوا المصاحف فوق سيوفهم وذلك ليتخلص من شر الهزيمة التي أوشكت أن تحل به وبجيشه ، فأجاب علي إلى تحكيم الحكمين عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري فاختلف علية جيشه وقالت طائفة منهم لا حكم إلا لله وخرجوا عليه، وبهذا ظهرت أول فرقة في الإسلام هم الخوارج . و من أهم مبادئ الخوارج:

يجب أن يكون الخليفة باختيار حر من المسلمين ، وإذا اختير الخليفة فلا يصح أن يتنازل عن الخلافة ما دام قائماً بالعدل ، وإلا وجب عزله.

لا يشترط أن تكون الخلافة في قريش أو المكيين، محتجين بحديث الرسول: ( اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٤٦/٦٦١،١

الإيمان ليس اعتقاداً فقط وإنما هو اعتقاد وعمل، لذلك هم يعتبرون أن مرتكب الكبائر كافر ولو امن بالله ورسوله.

ومن مبادئهم أيضا عدم التسامح في الدين ، وعدم مهادنة من يخرج على حدود الشرع مهما كان مركزة الاجتماعي أو السياسي ومهما كانت النتائج التي يؤدي إليها الخروج عليه .

وفي الحقيقة أن الذين ردوا بداية التشيع إلى هذا الزمن، إنما قصدوا الحكم على أنصار علي في حرب الجمل وصفين والنهروان، وهؤلاء لم يجمعهم عقيدة مشتركة، إنما كان دافع أكثرهم الطاعة للخليفة.

وأخيرا نجد من يرى أن استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه في موقعة كربلاء على يد الأمويين هي بداية ظهور المذهب الشيعي، إذ كان التشيع قبل مقتله مجرد رأي سياسي، فلما قتل الحسين رضي الله عنه أصبح التشيع عقيدة راسخة في نفوس الشيعة وتكونت مبادئه الأساسية وزاد عدد أنصاره.[٤٦]

وفي الحقيقة يمكن الجمع بين جميع هذه الآراء – إذا اعتبرت صحيحة – واعتبارها المراحل التي مرّ بها التشيع لعلي رضي الله عنه وبنيه حيث يمكن القول أن التشيع مرّ بعدة مراحل أولها ميل بعض الناس في المدينة المنورة لعلي رضي الله عنه وحبهم له لصفات رأوها فيه، بدون أن يتبنّوا أفكارا أو معتقدات مختلفة عن بقية المسلمين. ثم بعد ذلك ومع مرور الوقت وتغير الأحداث وتولي علي رضي الله عنه الخلافة زاد عدد الموالين لعلي رضي الله عنه من خارج المدينة. ويمكن القول أنه بخروج علي رضي الله عنه من المدينة بعد توليه الخلافة، خرج شيعته منها معه. ومع زيادة الخلاف بين علي رضي الله عنه وشيعته من جهة وبين خصومهم من جهة أخرى وما تلى ذلك من حروب وقتال، ثم مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، كل ذلك أدى إلى أن أصبح التشيع عقيدة راسخة في نفوس الشيعة، وتكونت مبادئه الأساسية وأفكاره ومعتقداته وخاصة ما يتعلق بالإمامة والولاية والوصاية،[٤٧] وهذه الأفكار والمعتقدات كانت تزداد وتتغير بحسب الخلاف والمختلفين، [٤٨]

---

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن الخوارج تفرقوا إلى فرق ومذاهب متباينة بسبب كثرة الاختلاف بينهم ، ومن هذه الفرق، الأزارقة ، النجدات العذارية ، الاباضية، الصفرية الزيادية، اليزيدية والميمونية، وهاتان الاخيرتان لا تعدان من فرق المسلمين عبدالمنعم شعبان،أضواء على أهم الفرق الإسلامية،ص٥٣.

٤٥ انظر: ابن النديم، الفهرست ، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٤٨م ، ص٢٤٩؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٤١–٤٧.

٤٦ انظر: دائرة معارف الإسلام، ج٣، ص٣٥٠؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٤٧–٤٩؛ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٥٦–٥٧.

٤٧ يقول الشيبي، أن التشيع كان تكتلا إسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد مقتل عثمان ، واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد مقتل الحسين. الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص١٧؛ عبد الله فياض، تاريخ الامامية، ص٥٠.

لذلك نشأت عدة فرق من الشيعة لها أفكار مختلفة عن بعضها في بعض الأمور.[٤٩] وهذا يعني أنه لم يكن لمذهب الشيعة – كمذهب له معتقداته وأفكاره – وجود في المدينة في تلك الفترة، وإنما كان الذين حملوا هذا الفكر من خارج المدينة.

**بداية ظهور الشيعة في المدينة المنورة قبل العصر الأيوبي[٥٠]**

يمكن القول أن أول خلاف ظهر بين المسلمين كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على من يخلفه في حكم المسلمين في الأمور الدينية والدنيوية، فظهر فريق من المسلمين في المدينة المنورة يرون أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أحق بالخلافة من غيره لأمور رأوها فيه، لكن عندما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة لم يُذكر أنهم قاموا بإنشاء فرقة لهم تخالف جماعة المسلمين، كما لم يرد أن أحدا من المسلمين شق عصا الطاعة عن الخليفة. واستمر الوضع في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، إلى أن بدأت الفتنة بين المسلمين في آخر عهد عثمان رضي الله عنه والتي يمكن أن يقال أنه كان

---

٤٨ يقول أحد الباحثين الشيعة إن الأعمال التي قام بها الأمويين ومن بعدهم العباسيين ضد آل البيت وظلمهم لهم كانت من أهم الأسباب التي جعلت الناس يميلون إلى آل البيت ويشايعوهم. ويضيف : أن اشتغال بني أمية وبني العباس في تقوية سلطانهم ومحاربة آل البيت وانهماكهم في نعيم الدنيا وتجاهرهم بالملاهي والملذات، وانقطاع بني علي إلى العلم والعبادة والورع والتجافي عن الدنيا وشهواتها وعدم تدخلهم في شأن من شؤون السياسة كل ذلك أوجب انتشار مذهب التشيع وإقبال الجمع الغفير عليه. محمد آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص٥٦.

٤٩ لعله من المهم معرفة أن التشيع لم يكن على درجة واحدة بل منهم المعتدلون الذين فضلوا عليا على كل الصحابة من غير تكفير أحد منهم والطعن فيه، ومن غير أن يضعوه في درجة التقديس التي يعلو بها على كل البشر، ومنهم المغالون في تقدير علي وتقديسه وجعلوه في درجة أعلى من منزلة النبي. و من الفرق الشيعية التي بالغت في تقدير علي فرقة السبأية وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي زعم أن عليا اله وأنه لم يمت وقد صعد إلى السماء وأن الرعد صوته والبرق تبسمه وأنه سينزل إلى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا. عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ٦٠–٦١. ويقال أن الشيعة افترقوا إلى فرق كثيرة من أهمها فرق الزيدية والكيسانية والامامية والتي افترقت إلى فرق كثيرة منها الإسماعيلية والاثنى عشرية.

٥٠ يجب في البداية التفريق بين التشيع للآل البيت الذي يعني حبهم وموالاتهم وبين اعتناق المذهب الشيعي وتبني أفكاره ومعتقداته التي يوجد بها خلاف مع بقية المسلمين السنة. وذلك لآن التشيع لآل البيت كان موجودا على حد رأي بعض المؤرخين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. أما اعتناق المذهب الشيعي لم يظهر بين سكان الحجاز بشكل ملفت إلا في العصر الأيوبي، عندما احكم الأشراف الشيعة قبضتهم على الإمارة وتولي الشيعة لأهم المناصب فيها.

لها دورا كبيرا في الخلاف الذي أدي إلى تفرق المسلمين بعد ذلك ومن ثم ظهور الشيعة كفرقة لها مبادئها وأفكارها.

ويذكر بعض الباحثين[51] أن السبب في ذلك والمحرك لهذه الفتنة هو نفسه المؤسس لمذهب التشيع لعلي رضي الله عنه والمغالاة فيه لدرجة تشبيهه بالإله، ذلك هو عبد الله بن سبأ. فبعد مقتل عثمان رضي الله عنه وتولي علي رضي الله عنه الخلافة رفض بعض المسلمين مبايعة علي رضي الله عنه وطالبوا بقتل من اشترك في قتل عثمان رضي الله عنه فانقسم المسلمون إلى ثلاثة أقسام، قسم مع علي رضي الله عنه يطالب بالمبايعة والسمع والطاعة للخليفة الجديد، وقسم لا يريد أن يبايع قبل الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه ، وقسم آخر آثر الاعتزال وعدم الاشتراك في الأحداث. هذا الوضع أدى إلى نشوب الحروب بين المسلمين وظهور فرقة الشيعة بشكل واضح. ولكن إذا ما استبعد عبد الله بن سبأ وجماعته، يمكن أن يلاحظ أن جميع من كان مع علي بن أبي طالب لم يختلفوا مع بقية المسلمين في أصل من أصول الدين أو فروعه ولم يبتدعوا أفكارا جديدة في الدين أو يغيروا فيه، وإنما كانوا موالين لعلي على خصومه ومناصرين له.

ومرت السنوات والمدينة تشهد تحولات في الولاء والتأييد السياسي فقط ولكن لم يرد نص عن تحول أهل المدينة من مذهب أهل السنة رغم وجود عدد كبير من آل بيت النبي في المدينة والذين كانوا على مذهب السنة والجماعة.[52]

وخير دليل على ذلك هو عندما قرر الحسين بن علي رضي الله عنهما عدم مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة والمطالبة بحقه فيها، لم يؤيد أحدا من أهل المدينة الحسين أو خرج معه أو ناصره على يزيد بن معاوية، بل الوارد إلينا أن أهل المدينة بايعوا يزيد بن معاوية فورا حينما طلب منهم والي المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الوليد بن عتبة بن أبي

---

٥١ الملطي، التنبيه والرد، ص١٨؛ الاشعري، مقالات الإسلاميين، ٨٦/١؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٣٣؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ١٧٤/١؛ الاسفراييني، التبصير في الدين، ص٧١-٧٢؛ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين، ص٨٦؛ ابن المرتضى، المنية والأمل، ٢٩؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٢٨٩/٣؛ ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ٤٣١/٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٠/٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٧٧/٣؛ ابن كثير، البداية، ١٦٧/٧؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٠/٢؛ القفاري، أصول مذهب الشيعة، ٨٧/١.

٥٢ بعد مقتل على بن أبي طالب وتنازل ابنه الحسن لمعاوية بالخلافة رجع آل بيت النبي من الكوفة إلى المدينة ومنهم الحسن والحسين وأزواجهما وأبناؤهما، وعاد إلى المدينة أيضا معظم الذين خرجوا مع علي إلى موقعة الجمل وشاركوا معه في حروبه ضد معاوية، انظر: ابن الأثير، الكامل ج٣،ص٤٠٦؛ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية،ج٤،ص١٠-١١.

سفيان ذلك،[٥٣] وحاولوا ثني الحسين رضي الله عنه عن رأيه في الخروج إلى الكوفة والمطالبة بالخلافة، وحتى عندما ثار ابن الزبير في مكة بعد مقتل الحسين على يد الأمويين، لم يفعل أهل المدينة ذلك، واكتفوا بالتحسر والدعاء على الظالمين. وربما يكون من أسباب عدم ثورة أهل المدينة لمقتل الحسين أنهم لم يكونوا راضين عن خروجه، ولم يشاركه أحد من أهل المدينة في مسيره إلى الكوفة باستثناء بعض أقاربه من الهاشميين.[٥٤] ومن هنا يمكن القول أنه لم يكن للمذهب الشيعي- كمذهب له مبادئ وأفكار ينفرد بها عن غيره- في المدينة من وجود في ذلك الوقت.

ومن الأدلة الأخرى على عدم وجود أثر للمذهب الشيعي في المدينة في ذلك الوقت، هو أن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، كان موجودا في المدينة طيلة حياته(٣٦-٩٤/٦٥٦-٧١٢)،[٥٥] وكان عالما عابدا فقيها، وكان حوله عددا كبيرا من طلبة العلم ومن تلامذته ومن أهله وأقاربه من بني هاشم، ورغم ذلك كان هو وجميع من حوله على مذهب السنة والجماعة، ولم يرد نص عن تبنيه لأي من معتقدات الشيعة، بل كان ينكر كل ما يخالف السنة النبوية.

كما حدثت في المدينة أحداثا وثورات ارتبطت بآل البيت وشارك بها بعض أهل المدينة، ولكن لم يكونوا معتنقين للمذهب الشيعي بأفكاره ومعتقداته وإنما كان تأييدهم لهم سياسي فقط. ومن تلك الأحداث: حركة محمد النفس الزكية بالمدينة المنورة سنة ١٤٥هـ ومعه ٢٥٠ رجلا من أهل المدينة.[٥٦] وحركة السودان في المدينة كأثر لحركة محمد وإبراهيم.[٥٧] وحركة الحسين بن علي بن الحسين سنة١٦٩هـ، انضم إليه ٢٦ علويا من كبار العلويين الموجودين بالمدينة.[٥٨] كما كان يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٢٤٥-٢٩٨هـ)[٥٩] مقيما في المدينة،

---

٥٣ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٣٨؛ الكامل، ج٣، ص٢٦٤.

٥٤ السابقين.

٥٥ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٣، ص٢٢٠.

٥٦ عبد الله المسند، العلويين في الحجاز ،١١٩-١٣١.

٥٧ السابق، ١٨٧.

٥٨ السابق ،١٩٣، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٦(كما يلاحظ انه لم يقل من الشيعة)

٥٩ انظر ابن حزم، جمهرة انساب العرب، القاهرة، ١٩٤٨، تحقيق ليفي بروفنسال، ص٢٨، من محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص٣٥

فلما استقر رأيُ قبائل صعدة اليمنية عليه توجه إليه وفد منهم لدعوته فاستجاب لهم وسار معهم إلى صعده سنة ٢٨٠/٨٩٣، وترك المدينة، فكان أول أئمة الزيدية في اليمن.[٦٠] وهذا يدل على عدم وجود أتباع للمذهب الشيعي في المدينة في ذلك الوقت، وإلا لما خرج منها عندما وجد من يؤيده في غيرها.[٦١] كما يمكن الاستدلال بنص ابن تيمية الذي مر سابقا عن أن أهل المدينة كانوا متمسكين بمذهبهم ومنتسبين إلى مذهب مالك حتى أوائل المائة السادسة من الهجرة أو قبلها أو بعدها بقليل.[٦٢]

إذا يمكن القول أنه خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى لم ينتشر المذهب الشيعي في المدينة،[٦٣] رغم تردد عدد كبير من أبنائه ودعاته عليها زائرين ومجاورين لبعض الوقت، وعندما دخلت المدينة تحت حكم الفاطميين لم يسع الفاطميون إلى نشر مذهبهم فيها عكس ما يعتقد البعض،[٦٤] والدليل أن المذهب الشيعي الذي ظهر في المدينة بعد ذلك كان مذهب الشيعة الامامية (الاثنا عشرية)، بينما كان الفاطميون على المذهب الإسماعيلي، فلو صح ادعاء البعض أن المذهب الشيعي ظهر في المدينة على يد الفاطميين لكان مذهب شيعة المدينة هو المذهب الإسماعيلي وليس الإثنا عشري. كما أن الدارس لتاريخ الفاطميين يلاحظ أنهم لم يكونوا يهتمون بنشر مذهبهم في البلاد التي يسيطرون عليها. وهذا يؤدي إلى استبعاد وجود ارتباط مباشر بين سيطرة الفاطميين على المدينة وانتشار الإمامية فيها. صحيح أنه ما أن تم الفتح الفاطمي لمصر حتى أعلن طاهر بن مسلم استقلاله بإمارة المدينة عام ٣٦٠ وخطب للمعز الفاطمي لأول مرة. لكن يلاحظ أن العامل المادي هو الذي كان يحدد استمرار العلاقة السياسية بين أمراء المدينة والفاطميين كما تم توضيحه سابقا في الفصل الثاني.

**٣- وجود الشيعة في المدينة المنورة في العصر الأيوبي:**

---

٦٠ محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، ص ٣٦

٦١ مثل كثير من ثورات أبناء علي يخرجون من المدينة لأنهم لم يجدوا العدد الكافي من شيعتهم لنصرتهم ويذهبون إلى الأماكن التي يكثر فيها الشيعة

٦٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٠٠/٢.

٦٣ ذكر كلا من عبد الله فياض وفلهاوزن والكليني والطوسي والأصفهاني والمسعودي والديلي المناطق التي انتشر فيها الشيعة خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى ولم يذكروا من بينها المدينة. انظر: عبد الله فياض ، تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٠م، ص٥٨-٧١؛ فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥هـ.

٦٤ أنظر: عبدالرحمن المديرس، المدينة في العصر المملوكي، ص١٨٧.

### ١- ظهور المذهب الشيعي الاثنى عشري في المدينة المنورة:

ذكر في القسم الأول من هذا البحث نصا لابن تيمية عن بداية ظهور المذهب الشيعي في المدينة، وجاء في نص ابن تيمية أن أهلها كانوا متمسكين بمذهبهم القديم منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك حتى قدم إليهم رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم.[٦٥]

أما ابن فرحون فقد تقدم ذكر نصه الذي يتحدث فيه عن بداية ظهور الشيعة في المدينة وقدوم عائلة القاشاني من العراق لترسيخ مذهب الامامية في المدينة.[٦٦] ولكن يلاحظ أن ابن فرحون لم يحدد الفترة الزمنية التي جاءت فيها عائلة القيشاني إلى المدينة، وإنما يبدو من نصه السابق أنهم كانوا موجودين في زمن نور الدين زنكي ( ٥٤١-٥٦٩/١١٤٧-١١٧٤)، وهذا يعني أن حركة الدعوة إلى المذهب الشيعي بدأت قبل العصر الأيوبي، وهو ما يتعارض مع ابن تيمية الذي يجعلها في حدود الستمائة الهجرية.[٦٧]

---

٦٥ قال ابن تيمية: " وأما المدينة فان أهلها كانوا متمسكين بمذهبهم القديم منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم لا سيما المنتسبون منهم إلى العترة النبوية وقدم عليهم بكتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة وبذل لهم أموالا كثيرة فكثرت البدعة فيها من حينئذ. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٠/٣٠٠.

٦٦ قال ابن فرحون:" جاءت من العراق إلى المدينة عائلة شيعية هي عائلة ( القيشاني)٦٦ وكانت ثرية وراغبة في ترسيخ مذهب الامامية في المدينة، فعملت بذكاء على ذلك وساعدتها الظروف العامة في ذلك الوقت. كانت واردات المدينة ضئيلة وظروف أهلها الاقتصادية متواضعة فصاروا يؤلفون ضعاف الناس بالمال ويعلمونهم قواعد مذهبهم، ولم يزالوا على ذلك حتى ظهر مذهبهم وكثر المشتغلون به، وعضدهم الأشراف في ذلك الزمان، ولم يكن لهم ضد، ولا في مصر ولا في الشام من يلتفت إليهم، لان الملك العادل نور الدين زنكي كان حاكما على البلدين، لكن همه الجهاد ولا يستقر له قرار. ثم ولي بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فسار على طريقة الملك نور الدين وزاد عليه، وكان أمير المدينة أبو فليته قاسم بن المهنا يحضر معه الفتوحات، ويلازمه في الغزوات، فلم يكن أحد يجسر على الكلام في الامامية في ذلك الزمان ".ابن فرحون، ص ٢١١.

٦٧ ويمكن القول أن عائلة القاشاني قدمت إلى المدينة وبدأت محاولاتها في نشر مذهبهم في بداية القرن السادس الهجري ولكنها قويت وقدم لها الدعم من أمراء المدينة والأشراف في العصر الأيوبي، أو بمعنى آخر أن حركتهم الدعوية كانت سرية قبل العصر الأيوبي ثم أصبحت علنية بعد ذلك.

كما يختلف ابن تيمية مع ابن فرحون في قوله أن معاضدة الأشراف كان لها أثر كبير في انتشار دعوة آل القاشاني بينما يقول ابن تيمية أن دعوة آل القاشاني هي التي أفسدت عقائد أهل المدينة وخصوصا الأشراف.[٦٨]

ومن المحتمل أن يكون أن بعض الأشراف الحسينيين وأمراء المدينة بالذات كانوا قد اعتنقوا الامامية قبل القرن السادس الهجري، ولكنهم لم يكونوا مغالين فيها ولم يحملوا الناس عليها. وقد ذكر ابن خلدون عبارة ترجح هذا الرأي، فقد ذكر في سياق حديثه عن محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى الملقب بمسلم،[٦٩] أنه يسمى عند الشيعة ( حجة الله)،[٧٠] وقد لعب دورا هاما في دخول الفاطميين إلى مصر.[٧١] ثم جاء ابنه طاهر(أمير المدينة في سنة ٣٦٦-٣٨١)[٧٢] إلى المدينة وتولى الإمارة بها، ومن المحتمل أن يكون قد جاء بالمذهب الامامي إلي المدينة وأورثها آل المهنا من بعده، ولكن لا يوجد دليل صريح يدعم هذا الرأي إلا قول ابن فرحون عن معاضدة الأشراف لآل القيشاني في نشر دعوتهم دون أن يكون ذلك حكما قاطعا.

المهم أن الإمامية انتشرت بين الأشراف الحسينيين في المدينة قبل القرن السابع الهجري حتى أصبح اسمهم في كتابات ابن فرحون موازيا للإمامية.[٧٣] وقد ذكر السخاوي من كان متحيزا منهم للإمامية ومن كان من السنة.[٧٤]

ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن ظهور التشيع في المدينة قد تم على مراحل، أولها كان تشيع بعض الأشراف، ولكنهم لم يفكروا في نشر المذهب الشيعي في المدينة إما لأنهم كانوا

---

٦٨ ذكر ابن فرحون أن دعوة آل القيشاني كانت موجهة إلى ضعاف الناس، بينما الأشراف فئة متميزة ومنها الأسرة الحاكمة. وذُكِر سابقا أن الشيعة كانوا يلتفون حول آل بيت النبي رغم أن آل البيت كانوا على المذهب السني ولا يقبلون كثيرا من معتقدات الشيعة، ولكن يمكن أن يكون مع مرور الزمن تغير بعض الأشراف وتأثروا بالشيعة من الذين أغروهم بالتأييد والنصرة، وشجعوهم على أن ينازعوا على السلطة، فظن الأشراف أنهم لن ينالوا تأييد الشيعة إلا إذا أقروا الشيعة فيما يفعلوه، بل ويعتنقوا المذهب الشيعي في سبيل الحصول على السلطة

٦٩ أنظر ترجمته: ابن خلدون، ١٤٠/٤، ٢٣٣؛ المنهل الصافي، ج٤، ص١٨٥؛ الذهبي، الوفيات، ص٤٤٦.

٧٠ ابن خلدون، ١٤٠/٤.

٧١ عارف عبدالغني، أمراء المدينة، ص٢٢٣.

٧٢ العقد الثمين، ج٦، ص٤٥٨؛ الفخري في النسب، ص٦٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٩٤؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص٢٥٧.

٧٣ انظر مثلا: ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٧٠.

٧٤ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٩٣-٩٧.

مشغولين بالتنافس على الإمارة أو لأنهم كانوا من الشيعة المعتدلين الذين يفضلون أن تكون علاقتهم بالسنيين حسنة، أو لأنهم كانوا يخافون من الخلفاء والسلاطين أن يعاقبوهم على ذلك. والمرحلة الثانية هي قدوم بعض الدعاة الشيعة الامامية إلى المدينة بقصد نشر مذهبهم والدعوة إليه، ومنهم أسرة القاشاني.

وُذِكر سابقا أن من الظروف العامة التي ساعدت على انتشار الإمامية في المدينة، انشغال السلطان صلاح الدين الأيوبي ( ٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م ) في الجهاد ضد الصليبيين، وملازمة أمير المدينة أبو فليتة قاسم بن المهنا الذي كان إمامي المذهب لصلاح الدين في غزواته، فلم يكن أحد يجسر على الكلام في الإمامية في ذلك الزمان. والذي يظهر من ذلك أن أمير المدينة كان اماميا متزنا يحسن العلاقة مع السلطان صلاح الدين والخليفة العباسي والسنيين جميعا، وإن صح ذلك فمن المتوقع أنه كان لا يظهر شيئا من وجوه الخلاف مع أهل السنة ولا يقع فيما يقع فيه الإماميون المتطرفون من الإساءة لبعض الصحابة أو التركيز على قضايا خلافية تاريخية، ولو فعل ذلك لما نال شيئا من الحظوة.

ويمكن الاستنتاج من صورة الحياة في بداية القرن السابع ما يدل على تغير الموازين ووصول الإماميين إلى مناصب مهمة لها أثر في الحياة الاجتماعية. ففي عهد الأمير منيف بن شيحة (٦٤٦-٦٥٧هـ/١٢٤٨-١٢٥٨م)[٧٥] كان القاضي في المدينة من الإمامية، وهو الذي كتب الرسالة الطويلة التي تناقلتها كتب التاريخ وصور فيها أحداث البركان سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، واسمه شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني،[٧٦] وظل منصب القضاء بعد ذلك في أيدي آل سنان مدة طويلة. كما يمكن أن يفهم من الرواية التي نقلها ابن فرحون عن سلطان بن نجاد وذُكِرت سابقا أن القاضي في ذلك الوقت كان على مذهب الشيعة الامامية.[٧٧]

**٢- المدة التي استغرقها الإماميون في محاولة نشر مذهبهم في المدينة المنورة :**

---

٧٥ ترجمته في: السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٢٢٣، ٤٢٣، وحمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، ص٩٨، و عارف عبدالغني، تاريخ أمراء المدينة، ص ٢٦٣.

٧٦ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠١.

٧٧ يقول سلطان بن نجاد" أدركت القاضي سنان يخطب على المنبر، ويذكر الصحابة بخير ويترضى عنهم، ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدق به، يفعل ذلك كل جمعة عقب الصلاة". ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٢٠٩.

إن المدة التي استغرقها الإماميون في محاولة نشر مذهبهم في المدينة وتجميع قاعدة من معتنقيه هي أقل من قرن، إذا كان آل القاشاني هم أول من أدخل الإمامية إلى المدينة وعملوا على نشرها. ويؤيد ابن تيمية في نصه الذي ذكر سابقا هذا الرأي الذي يقول فيه أن أهل المدينة كانوا متمسكين بمذهبهم إلى أوائل المائة السادسة.[٧٨]

ويذكر السخاوي أن أول من تولى القضاء من الشيعة هو عبد الوهاب بن نميلة الحسيني،[٧٩] وهذا يقلص المدة الزمنية أكثر، ويدل على نجاح آل القاشاني ومن سلك مسلكهم في جلب أعداد من الناس وإقناعهم بمذهبهم. وبما أن هذه الفترة توالى عليها أمراء من أبناء أبي فليتة القاسم بن المهنا،[٨٠] وأنها شهدت اضطرابات وحروبا مع آل قتادة في مكة،[٨١] وأن الدولة الأيوبية التي تتبعها المدينة اسميا كانت مشغولة بالصراعات المتقطعة بين أبناء صلاح الدين، وقد انتهت هذه الصراعات بتحول الملك إلى المماليك سنة ٦٤٨هـ، كانت هذه الأجواء المضطربة مناسبة لكل صاحب دعوة إذا اجتهد في دعوته، ومناسبة لأمراء المدينة كي يناصروا الإمامية ويحولوا سلطة القضاء إليهم، أو يجعلوهم المقدمين والمشرفين عليها على أقل تقدير، ولا أدل على هذه السلطة من الصورة التي رسمها ابن فرحون للقضاء في المدينة في منتصف القرن السابع،يقول" كان إذا عقد في البلد عقد نكاح بغير إذن علي بن سنان، طلب الفاعلين لذلك وعزرهم(أي عاقبهم) وسلط عليهم الأشراف. وكان المجاورون وأهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح أو فصل خصومة على مذهبهم يأتون أحد مشايخهم ليعقد لهم أو يصلح بينهم، فيقول لا أفعل حتى يأتيني الإذن من ابن سنان، فيذهبون إليه ويعطونه بعض المال فيكتب لهم رسالة يسمح فيها لشيخهم بالعقد أو الصلح".[٨٢]

**٣- أسباب ظهور المذهب الامامي الاثنى عشري دون غيره من مذاهب الشيعة في المدينة المنورة :**

---

٧٨ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٠٠/٢٠.

٧٩ السخاوي، التحفة، ١١٣/٣.

٨٠ وهم جماز بن قاسم(٥٨٨-٥٩٧هـ) وسالم بن قاسم(٥٩٧-٦١٢ هـ) وقاسم بن سالم بن قاسم(٦١٢-٦٢٢ هـ) وشيحة بن هشام(٦٢٢-٦٤٧ هـ) وعيسى بن شيحة(٦٤٧-٦٤٩ هـ) وجماز بن شيحة(٦٤٩-٦٥٣ هـ) ومنيف بن شيحة(٦٥٣-٦٥٧ هـ)، وكانوا من الاماميين. انظر: ابن فرحون، ص٢١٢، ٢٤٧ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٩١-٩٤.

٨١ ابن الاثير، الكامل، ج١٢، ص٢٠٥، والسخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص١١٠.

٨٢ ابن فرحون، ص٢١١.

تجمع المصادر التاريخية كما تقدم سابقا على أن الفرقة الشيعية التي كانت موجودة في المدينة في العصر الأيوبي هي فرقة الإمامية الإثنى عشرية.[٨٣] والإمامية[٨٤] هي فرقة من الفرق التي تشيعت للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسميت كذلك لأنها تعتد بالإمامة وتجعلها صلب مذهبها، وقد قصرتها في الإمام علي وأبنائه من فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها بالتعيين واحدا بعد واحد.[٨٥]

---

٨٣ ابن فرحون، ص ٢١١-٢٤٧؛ السخاوي، التحفة، ١/٩١-٩٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٢٦/١٠؛ ابن النديم ، الفهرست، ص ٢٧٥.

٨٤ كانت الكيسانية أول من قالت بفكرة الإمام المهدي التي أصبحت فيما بعد عقيدة الامامية . كما أن زعيمها أول من طبقها. عبد الله فياض، تاريخ الامامية، ص ٥٥.

٨٥ ويقولون أن أبا بكر وعمر قد أخفيا وصية الرسول لعلي، ولم يقدما عليا ويبايعاه بالخلافة طبقا لهذه الوصية، وهي أن النبي قال: ( من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟ ثلاثا). أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم،، وأخرجه أحمد عن علي وأبو هريرة،، والطبراني عن ابن عمر.. لذلك رأت الامامية أن هذا نص صريح بالخلافة لعلي وانه الأحق بها.

ومن عقائد الامامية المبالغة في القول بعصمت الإمام (جاء عن بعض علماء الشيعة، أن ألائمة معصومون مقدسون وهم أركان الأرض، وحجة الله البالغة، لهم صلة روحية بالله كالأنبياء والرسل، تعرض عليهم أعمال العباد يوم القيامة. انظر: الشيخ محمد المفيد، شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد، ص١١٤، تحقيق هبة الدين الشهرستاني، تبريز،١٣٧١؛ علي الجيلاني، توفيق التطبيق، تحقيق محمد حلمي، ١٩٥٤، ص١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص١٦٠؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ص١٠٤-١١١؛ دونالدسن، عقيدة الشيعة، تاريخ الإسلام في إيران والعراق، ترجمة ع.م.، مطبعة السعادة، ١٩٤٦م، ص٣١٧ )، وأنه لا يشترط أن يكون الإمام ظاهرا، بل قد يكون مستورا إذا لم تكن له شوكة تدافع عنه. وهم يرون إن خاتم الأئمة لم يمت وإنما اختفى في سرداب في مدينة سامراء بالعراق، وسيظل متخفيا إلى آخر الزمان، وسيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما. ومن قول الامامية كلها قديما وحديثا أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل فيه كثير من الناس إلا علي ابن الحسن ابن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وكان أماميا يظاهر بالاعتزال، و مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله. أنظر: ابن حزم، الفصل في الملل، ج٤، ص١٣٩، وعبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٧٤-٧٦. ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لأنه إنما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك. كما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمي قبله. ابن حزم، الفصل في الملل، ج٤، ص١٣٩.

ومن قولهم أن جميع الصحابة رضي الله عنهم كفروا بعد موت النبي إذ جحدوا إمامة علي وان عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم قال جمهورهم أن عليا ومن اتبعه رجعوا إلى الإسلام عندما دافع عن

وتفرقوا إلى عدة فرق منها الإثنى عشرية الذين كان شيعة المدينة في العصر الأيوبي منهم. وسموا الإثنى عشرية[٨٦] لأنهم ادعوا أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من أولاد علي ابن أبي طالب،[٨٧] فقد ساقوا الإمامة من علي الرضا إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه علي ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر،[٨٨]

---

إمامته، وانه وإياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام كفارا مشركين، ومنهم من يرد الذنب في ذلك إلى النبي لأنه لم يبين الأمر بيانا رافعا للإشكال. : ابن حزم، الفصل في الملل، ج٤، ص١٤٠ .

و قد تفرقت الامامية إلى خمس عشرة فرقة هي المحمدية والباقرية والناوسية والشميطية والعمارية والاسماعيلية والمباركية والموسوية والقطعية والاثنى عشرية والهشامية والزرارية واليونسية والشيطانية والكاملية. البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٥١.

وأهم هذه الفرق فرقتا الاثنى عشرية والإسماعيلية لانتشارهما وكثرة أتباعهما.

٨٦ وقيل أيضا القطعية، وسموا بذلك لأنهم ساقوا الإمامة بعد جعفر إلى ابنه موسى ثم قطعوا بموت موسى وقالوا إن المهدي المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم. انظر: البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٦٠.

٨٧ ويقتصر الاثنى عشرية الإمامة بعد موت الحسين بن علي بن أبي طالب في أبنائه فقط.

٨٨ واختلفوا في سن هذا الثانى عشر عند موت أبيه فمنهم من قال كان ابن أربع سنين ومنهم من قال كان ابن ثمانى سنين واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت فمنهم من زعم أنه في ذلك الوقت كان إماما عالما بجميع ما يجب أن يعمله الإمام وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال كان في ذلك الوقت إماما على معنى أن الإمام لا يكون غيره وكانت الأحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه فلما بلغ تحققت إمامته ووجبت طاعته وهو الآن الإمام الواجب طاعته وان كان غائبا، البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٦٠. وقالوا هو حي لم يمت ويرجع فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا. الاسفرايني،التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ج:١ ص:٣٩. والفرقة الاثنى عشرية هي من أهم فرق الشيعة التي عاشت إلى وقتنا الحاضر واليها ينتمي معظم الفرس و شيعة العراق والهند. ومن آرائهم وعقائدهم وجوب الإمامة على الله، هم يعنون بذلك أنه من الواجب على الله ألا يترك العالم من دون إمام يجمع الناس ويعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية.أنظر محمد الموسوي الكاظمي القزويني، أصول المعارف ، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٧٤هـ ، ص٨٢؛ نور الدين محمد المرتضى، درر البحار المصطفى من بحار الانوار ، طبعة حجر إيران، ١٣٠١هـ ، ص٢؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٦٩–٧٨. ووجوب النص على الإمام قالوا: إذا كان في نصب الإمام استجلاب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تخفى وبتنصيبه يتم صلاح المعاش والمعاد، لذا وجب على الله تعينه لهم بنص صريح منه في آياته وبأمر منه إلى نبيه أن يبلغ ما أنزل عليه في النص على من يخلفه، وقد استند الشيعة في عرض وجهة نظرهم ونقد رأي خصومهم إلى تأويل آيات القران، كما استدلوا على ذلك بأدلة عقلية فضلا عن استنباط وقائع من التاريخ تدعم موقفهم. انظر محمد الكاظمي القزويني، المناظرات، ص٤، مطبعة العرفان بصيدا، ١٣٧٤هـ؛ الحلي جمال الدين يوسف بن المطهر، الالفين الفارق بين الصدق والمين في

ولكن لماذا فرقة الاثنى عشرية دون غيرها هي التي ظهرت في المدينة؟

يمكن إجمال أسباب ذلك في الآتي:

أولا: لأن أمراء المدينة كانوا من الأشراف المنتسبين للحسين بن علي رضي الله عنهما والاثنى عشرية يجعلون الإمامة في أبناء الحسين بن علي كما سيأتي في المقارنة مع مكة.

ثانيا: لأنه مدفون في مقابر المدينة كثير من آل البيت وكذلك السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أئمتهم.

ثالثا: لاعتناق أمراء المدينة من الأشراف المذهب الاثنى عشري.

رابعا: لأن عائلة القاشاني التي قدمت من العراق وعملت على نشر التشيع في المدينة كانت على المذهب الاثنى عشري.

خامسا: كان القضاة من آل سنان أيضا على المذهب الاثنى عشري.

سادسا: كان لبعد المدينة عن مركز الخلافة في بغداد وانشغال الخلفاء والسلاطين بمشاكلهم وحروبهم أثر في انتشار الشيعة الاثنى عشرية في المدينة واستقلال الأشراف بحكمها، واقتصرت تبعيتهم للخلافة العباسية على الناحية الاسمية المتمثلة في الدعاء للخليفة على منبر المسجد النبوي.

**٤- علاقة شيعة المدينة المنورة الاثنى عشرية بغيرهم من الفرق الشيعية[٨٩]:**

---

إمامة علي ، المطبعة الحيدرية، النجف، ص١٠٥؛ نور الدين محمد المرتضى، درر البحار المصطفى من بحار الأنوار، ج٢،ص٢-٣؛ أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، ص٧٩-١٠٣. ووجوب عصمة الإمام، ووجوب علمه، ووجوب إمامة الأفضل، ووجوب موالاة ألائمة. ويقولون إن أصول الدين أربعة التوحيد والعدل والنبوة والإمامة أحمد بن تيمية،منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦، ط١، تحقيق محمد رشاد سالم، ج:٣، ص:٤٨٤.

وأسامي ألائمة الاثنى عشر عند الامامية هم علي بن أبي طالب المرتضى ثم ابنه الحسن المجتبى ثم الحسين الشهيد ثم زين العابدين بن الحسين السجاد ثم ابنه الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ولده موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم محمد التقى الجواد، ثم علي بن محمد النقي، ثم حسن العسكري لزكى، ثم ابنه محمد الحجة القائم المنتظر. الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٧٣

٨٩ لعله من المهم معرفة أن التشيع لم يكن على درجة واحدة بل منهم المعتدلون الذين فضلوا عليا على كل الصحابة من غير تكفير أحد منهم والطعن فيه، ومن غير أن يضعوه في درجة التقديس التي يعلو بها على كل البشر، ومنهم المغالون في تقدير علي وتقديسه وجعلوه في درجة أعلى من منزلة النبي. {{ و من الفرق الشيعية

### ١- علاقتهم بالإسماعيلية[٩٠]:

إذا أردنا التعرف على العلاقة بين فرقة الإسماعيلية وشيعة المدينة، علينا التعرف على العلاقة بين الفاطميين(وهم على المذهب الإسماعيلي) و أمراء المدينة الأشراف (وأكثرهم من الشيعه الإثنى عشرية)، وقد كانت تلك العلاقة قائمة على المصالح السياسية من جهة الفاطميين والمصالح المالية من جهة أمراء المدينة.

وينقل لنا الفاسي والمقريزي أن الفاطميين بذلوا عدة محاولات للسيطرة على المدينة أو الدعوة لهم فيها، منها ما قام به المعز لدين الله الفاطمي ( ٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) من استغلال فرصة تقاتل الأشراف من بني علي بن أبي طالب مع الأشراف من بني جعفر بن أبي طالب، فأرسل الرسل والأموال للإصلاح بينهم وتحمل ديات القتلى، فصار ذلك جميلا له عند الأشراف واكسبه ذلك العمل تأييدا كبيرا بين أشراف الحجاز. فلما أعلن الأشراف خلع طاعة العباسيين سنة٣٥٨هـ/٩٦٩م، خطبوا للفاطميين ودعوا لهم على المنابر[٩١] ردا للجميل.

---

التي بالغت في تقدير علي فرقة السبئية وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي زعم أن عليا اله وأنه لم يمت وقد صعد إلى السماء وأن الرعد صوته والبرق تبسمه وأنه سينزل إلى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا}}.٨٩
ويقال أن الشيعة افترقوا إلى فرق كثيرة من أهمها فرق الزيدية والكيسانية والامامية والتي افترقت إلى فرق كثيرة منها الإسماعيلية والاثنى عشرية.

٩٠ الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة(وقد لقبوا بألقاب كثيرة منها الباطنية لأنهم حكموا بان لكل ظاهرٍ باطناً ولكل تنزيلٍ تأويلاً، أنظر الشهرستاني،الملل والنحل، ص١٤٧.) قالوا بثبوت الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وانه حين مات في عهد أبيه انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد، وأن جعفرا إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بعد ذلك،( وهو الإمام السابع عند الشيعة الامامية، لذلك سميت هذه الفرقة السبعية، لتمييزها عن الاثنى عشرية. وعن السبعية أشتقت القرامطة ذوو المبادئ الشيوعية في البحرين والفاطميين في مصر، ومن فاطمي مصر أي الاسماعيلية تحدر الدروز والحشاشين. انظر: Delacy O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, London, K. Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd., 1922, pp.157-163.) كما يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل، والذين أسسوا الدولة الفاطمية في مصر(ويقال لها أيضا الدولة العبيدية، وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح كانوا هم وإتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لائمتهم ونحوهم مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالى في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم قال ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، انظر: أحمد بن تيمية، توحيد الألوهية، تحقيق عبد الرحمن العصمي القاسمي ، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ٤ /٣٢٠).

٩١ الفاسي، شفاء الغرام، ١٩٤/٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٠١/١.

ويختلف المؤرخون في تاريخ الدعوة للفاطميين في المدينة، فابن الجوزي وابن الأثير واليافعي وابن كثير يذكرون أنه ورد الخبر بوقوع الخطبة للمعز الفاطمي في مكة والمدينة في حج سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م، وقطعت خطبة الخليفة العباسي الطائع[٩٢].

بينما يذكر المقريزي أن أول سنة دعي بها للمعز الفاطمي بمكة والمدينة كان في حج سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م،[٩٣] وهو ما يتعارض مع ما ورد سابقا، ولعله يقصد هنا عودة ولاء الحجاز كله للفاطميين والدعاء لهم على منابر الحرمين. ومن ثم فان رأي كل من ابن الجوزي وابن الأثير واليافعي وابن كثير – وهم أسبق وأقدم من المقريزي – جدير بالتأييد[٩٤].

ويرجع سبب اختلاف المؤرخين في تاريخ الدعوة للفاطميين في المدينة إلى أن ولاء أشراف الحجاز للفاطميين والدعاء لهم على المنابر في عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م كان ردا للجميل وكمكافأة للمعز على ما بذله للإصلاح بين الأشراف وإرساله الأموال والهدايا وأن ذلك لم يكن إلا ولاء اسميا للدولة الفاطمية، ولم يستمر ذلك الولاء طويلا فقد عاد ولاء الأشراف للعباسيين مرة أخرى في العام التالي. أما ما حدث في عام ٣٦٣هـ/٩٧٤م، فكان نتيجة حملة عسكرية أرسلها المعز لإخضاع الحجاز كله للدولة الفاطمية ورغم فشل الحملة في تحقيق أهدافها في بداية الأمر إلا أن الفاطميين نجحوا في استعادة نفوذهم على الحجاز وخطب لهم على منابر الحرمين.

كما يذكر ابن الأثير والمقريزي أن أشراف مكة والمدينة قطعوا الخطبة للفاطميين بعد وفاة المعز وتولي ابنه العزيز سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م وخطبوا للخليفة العباسي الطائع[٩٥]، وهذا دليل على أن ولاء الأشراف للفاطميين كان لمصالح مادية فقط ولم يؤثر التقارب المذهبي في تلك العلاقة، ويذكر الفاسي وابن فهد وابن خلدون أن العزيز لم يرضى بعودة الحجاز للنفوذ العباسي فأرسل جيشا إلى المدينة استطاع أن يعيد المدينة إلى النفوذ الفاطمي مرة أخرى.[٩٦]

حاول الفاطميون الحفاظ على استمرار الدعوة لهم في مكة والمدينة باستخدام القوة أحيانا وبتقديم الأموال والهدايا أحانا أخرى. ولكن الذي يتضح من روايات القلقشندي الذي

---

٩٢ ابن الجوزي، المنتظم، ٧٥/٧؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٤٩/٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٧٩/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٧/١.

٩٣ المقريزي، ٢٢٥/١.

٩٤ انظر: صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص٨٤.

٩٥ ابن الاثير، ٣٦٢/٧، المقريزي، ٢٣٨/١

٩٦ الفاسي، ٤٥٨/٦؛ عبدالعزيزبن فهد، غاية المرام، ٤٨٢/١–٤٨٣؛ ابن خلدون، ٦٥/٤–٦٦.

يتفق معه كثير من المؤرخين حول التنافس العباسي الفاطمي على الحجاز أن العباسيين لم يسكتوا عن حقهم في استرداد سلطانهم على الحجاز[٩٧]، ويبدوا أنهم استخدموا نفس طريقة الفاطميين[٩٨].

ونستنتج مما سبق أن ولاء الأشراف في المدينة للفاطميين كان يعتمد على الأموال والهدايا المقدمة لهم في أغلب الأحيان وعلى القوة العسكرية في أحيان قليلة.[٩٩]

ولم يتدخل القرب المذهبي في تلك العلاقة بدليل أنها لم تكن مستقرة وكانت تعتمد على ما يقدمه الفاطميين من أموال. والغريب أن الفاطميين لم يحاولوا استغلال قرابة النسب أو المذهب في تحقيق مكاسبهم السياسية، لأنهم كانوا يعتمدون على العامل المادي الذي كان تأثيره أسرع وأكثر فاعلية. فمن الواضح أن السبب الذي دعا بعض الأشراف إلى إعلان تبعيتهم للفاطميين بهذه السرعة هو ضعف المدينة وقلة مواردها الاقتصادية والبشرية وحاجتها المستمرة إلى مساندة خارجية تدفع عنها الأعداء الذين كانوا يغيرون عليها. لذا يخطئ البعض حين يعتقد أن عامل القرابة في النسب والمذهب بين الفاطميين الإسماعيلية وبين أمراء المدينة الإثنى عشرية قد لعب دورا في الاتفاق بين الطرفين بما يحقق المصلحة المشتركة لكلا الفريقين.

ومن العجيب أن أتباع المذهب الإسماعيلي سواء كانوا من الفاطميين أو غيرهم لم يحاولوا نشر مذهبهم في المدينة، إذ يمكن القول أنه لم ينقل إلينا ما يدل على تحول أحد من أشراف المدينة أو أهلها من مذهبه إلى المذهب الإسماعيلي، أو أنه هاجر إليها أو جاور بها أحد الشيعة الإسماعيلية. وهذا يدل على أنه لم تكن هناك محاولات من الإسماعيلية لنشر مذهبهم في المدينة.

**٢ – علاقتهم بالزيدية[١٠٠]**

---

٩٧ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٦٩/٤.

٩٨ المقريزي،٢١٦/١؛ عبد الباسط بدر،المدينة المنورة في عهود الدول المتتابعة، ص ٣٣

٩٩ انظر صبحي عبد المنعم ص ٨٥– ٩٣.

١٠٠ فرقة الزيدية من الشيعة هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (وقد أدعى زيد الامامة العلوية في الكوفة عام ١٢٣هـ/٧٤٠م، بسبب خلاف حدث بينه وبين الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، فخرج على الخليفة بناء على رغبة الشيعة، وقد بايعه على ذلك أربعة عشر ألفا منهم، ولما حان موعد المعركة مع جيش هشاما لم يجد معه الا أربعة عشر رجلا منهم وانفض عنه الباقون نتيجة أنه كان يقول خيرا في أبي بكر وعمر، وقد قتل في المعركة. أنظر ابن الأثير، الكامل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ج٥، ص٢٢٧–٢٣٤، وعبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٧٠–٧٢.) وهذه الفرقة من أكثر

بما أن فرقة الزيدية كانت من أكثر فرق الشيعة قربا من السُنّة، فإنه من الطبيعي أن تتكون علاقات حسنة بينهم وبين أهل المدينة من السُنّة. كان أتباع المذهب الزيدي يتوافدون على المدينة للزيارة طيلة الأربعة قرون الهجرية الأولى، لم يرد خلالها أن حدث خلاف مذهبي بين الطرفين.

وفي العصر الأيوبي كانت علاقتهم مع الشيعة الاثنى عشرية في المدينة غير مستقرة بدليل ما حدث بين الطرفين من حروب. فقد كان حكام اليمن (بني رسول وهم على المذهب الزيدي) في نزاع مع الأيوبيين، وكان أمراء المدينة الأشراف ( وهم على المذهب الإمامي الإثنى عشري) يحاربون مع الأيوبيين ضد بني رسول.

---

فرق الشيعة اعتدالا وأقربها إلى السنة، فأتباعها لا يكفرون أبا بكر وعمر والصحابة اللذين لم يعترفوا بعلي خلفا للنبي، ولم يرفعوا الأئمة إلى مرتبة النبوة بل اعتبروهم كسائر المسلمين ولكنهم أفضل الناس وأكثرهم استقامة بعد النبي، وهم يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل،( يقصد الزيديون بالمفضول أبو بكر وعمر، والأفضل علي، إذ أن ألفضل عندهم أربعة أقسام: القدم في الإسلام، والزهد في الدنيا، ثم الفقه في الدين، ثم الكفاح في الدفاع عن الإسلام بالسلاح). ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية وذلك بسبب أنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم من الشيعة فقال لهم رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه.( أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هــ، ٣٥/١. وقيل أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبرىء ممن خالف عليا في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة.الرفض الترك ومنه الرافضة تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سب الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب. انظر: محمد المناوي، التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٣٦٩/١؛ عبدالرحمن أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ١١٩/١؛ محمد الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢، ٥٢/١.) ولكن الذين حملوا اسم هذا المذهب من بعد الإمام زيد كانوا أيضا يسمون الرافضة لأنهم لا يجيزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وهذا يعني أنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، وبذلك فقدت الزيدية أبرز خصائصها. (انظر: الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، ص١١٥-١١٨؛ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٧٣)

ولذلك يمكن تقسيم الزيدية إلى قسمين: قسم لا يعتبر من الرافضة، وذلك لاعترافه بإمامة أبو بكر وعمر، وقسم آخر يرفض إمامة أبو بكر وعمر، وهم المتأخرون.

ومن الزيديين دولة الادريسيين التي استولت على تونس سنة ٩٢٦/٧٩١، والدولة الزيدية في طبرستان سنة ٩٢٨/٨٦٣،( عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، حرره فيليب حتى، مطبعة الهلال، مصر،١٩٢٤م، ، ص٣١) وللزيدية أتباع في اليمن إلى اليوم.

لكن لا يمكن الجزم أن سبب محاربة أمراء المدينة مع الأيوبيين ضد الرسوليين كان بسبب الاختلاف المذهبي لأن الزيديين أقرب للمذهب الاثنى عشري من الأيوبيين السنّة. لذا اعتقد أن الخلاف كان خلافا سياسيا تحكمه المصالح، كالذي حدث بين أمراء المدينة الاثنى عشرية وبين أمراء مكة كان خلافا على النفوذ والسلطة.

**٣- علاقتهم بالكيسانية**[١٠١]:

كان لفرقة الكيسانية اثر على الحياة الدينية والسياسية في المدينة في القرن الأول الهجري، ولكن لم يستمر هذا التأثير بعد ذلك. كما لم يرد في الكتب التي تم الإطلاع عليها أية علاقة تربط بين أتباع فرقة الكيسانية وفرقة الشيعة الإمامية الإثنى عشرية. ويبدو أن سبب ذلك هو الاختلاف الكبير بين عقائد تلك الفرقتين، ومن أهمها الإمامة والبدء.

---

١٠١ الكيسانية هم أتباع المختار بن عبيد الثقفي(١-٦٧هـ)، الذي ادعى إمامة ابن الحنفية(وهو محمد بن علي ابن أبي طالب ولكن من غير فاطمة بنت الرسول)، وقام بالثأر للحسين وقتل أكثر الذين قتلوه. وكان يقال للمختار كيسان وذلك لان أباه ذهب به وهو صغير إلى علي ووضعه بين يديه فمسح على رأسه وقال" كيس كيس" فلزمه هذا ألاسم،(عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٦٢). وقيل أنه أخذ هذا الاسم عن مولى لعلى رضي الله عنه كان اسمه كيسان. (البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٣٥). وكان السبب في دعوة المختار إلى إمامة ابن الحنفية، أن عبيد الله بن زياد( عامل يزيد بن معاوية الأموي) لما فرغ من قتل الحسين بن على و رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل قيل له أن المختار كان ممن خرج مع مسلم بن عقيل ثم اختفى فأمر بإحضاره وحبسه، فتشفع إليه في أمره قوم فأخرجه من الحبس على أن يخرج من الكوفة، فخرج المختار هاربا من الكوفة إلى مكة وبايع عبد الله بن الزبير وبقى معه إلى أن قاتل مع ابن الزبير جند يزيد بن معاوية، واشتدت نكاية المختار في تلك الحروب على أهل الشام ثم مات يزيد بن معاوية ورجع جند الشام إلى الشام، واستقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن والعراق وفارس. ثم لقي المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه إلى الكوفة وواليها يومئذ عبد الله بن يزيد الانصارى من قبل عبد الله بن الزبير فلما دخل الكوفة بعث رسله إلى شيعة الكوفة ونواحيها إلى المدائن ودعاهم إلى البيعة له، ووعدهم انه يخرج طالبا بثأر الحسين بن على رضي الله عنه ودعاهم إلى محمد بن الحنفية وزعم أن ابن الحنفية قد استخلفه وأنه قد أمرهم بطاعته وعزل ابن الزبير. وقد أطلق على ابن الحنفية اسم المهدي الوصي. ( يلاحظ أن إخلاص المختار لابن الحنفية لم يكن حقيقيا، لأنه عندما وصل إلى مسامعه أن ابن الحنفية يريد أن يقدم عليه، أقعده عن ذلك بما أذاعه من أنه سيمتحن مهديته بتعريضه لضرب رقبته بالسيف فإذا نجا كان المهدي، انظر: البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٤٤-٤٥؛ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٦٣). واجتمع إلى المختار من بايعه في السر وكانوا زهاء سبعة عشر ألف رجل، واستولى المختار على الكوفة ونواحيها وقتل كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن على بكربلاء. ثم قام بحرب الأمويين في الموصل وانتصر عليهم. فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة ادعى نزول الوحي عليه. ( انظر: البغدادي، مختصر كتاب الفرق بين الفرق، ص٤١-٤٧؛ عبد المنعم شعبان، أضواء على أهم الفرق الإسلامية، ص٦٣-٦٥).

**٥- مقارنة بين التشيع في المدينة المنورة والتشيع في مكة المكرمة :**

مما يذكر أن أكثر أئمة الزيدية كانوا من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك لأنهم رأوا في المذهب الزيدي متسعا لهم ولنشاطهم في العلم والإمامة، إذ أن من شروط الإمامة عند الزيدية أن يكون الإمام من نسل السيدة فاطمة رضي الله عنها،[١٠٢] ولأن أمراء مكة منذ القرن الخامس الهجري من أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهما، لذلك اتبعوا المذهب الزيدي. بينما الأئمة عند الإثنى عشرية هم من أبناء الحسين بن علي رضي الله عنهما مثل أمراء المدينة الذين هم من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

يذكر ابن جبير أنه كان للمسجد الحرام بمكة أثناء رحلته عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة الزيدية الشيعية، وأن أشراف مكة على مذهبهم.[١٠٣]

كما يذكر الفاسي أن اشهر من تولى القضاء في مكة في القرن السادس عائلة الطبري وهم شافعية سنية، ومنهم أبو إسحاق الطبري(ت٥٢٣هـ/١١٢٨م)[١٠٤] وأبو المظفر الشيباني الطبري(ت٥٤٥هـ/١١٥٠م)[١٠٥] وأخوه أبو القاسم (ت٥٥٤هـ/١١٥٨م)[١٠٦] وجمال الدين الطبري( ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م).[١٠٧]

أما خطبة الجمعة في المسجد الحرام بمكة فكان يتولاها الخطيب الشافعي كما يذكر ابن جبير.[١٠٨] ويذكر أيضا أن جمهور الناس بمكة كانوا يعتنقون المذهب الشافعي[١٠٩].

أما في المدينة فكان الأمراء والخطباء والقضاة والأئمة والقراء من الشيعة[١١٠].

والسؤال هنا ما السبب في تواجد المذهب الشيعي في المدينة في العصر الأيوبي وعلى وجه التحديد في أصحاب الوظائف الهامة كالأمراء والقضاة والأئمة والقراء والخطباء، بينما لم ينتشر مثل هذا الانتشار في مكة رغم تشيع كثير من أمراءها؟

---

١٠٢ محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، ص٣٦.

١٠٣ ابن جبير، ص٧٨.

١٠٤ الفاسي، ٢٣٣/٣.

١٠٥ السابق، ١٥٢/٢.

١٠٦ السابق، ٣٩٢/٥.

١٠٧ السابق، ٢٩٨/٥.

١٠٨ ابن جبير، الرحلة، ص٧٢-٧٣.

١٠٩ السابق، ص٨٠.

١١٠ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٣/٢٨؛ ابن جبير، ص١٧٩؛ السمهودي، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، ص١٤١-١٤٢؛ صبحي عبدالمنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص٢٢٨-٢٣١.

يمكن أن يعود هذا للأسباب التالية:

١- أهمية مكة للمسلمين فإليها يحجون كل عام، واهتمام الخلفاء والسلاطين بها أكثر من المدينة لان إليها يحج المسلمون فمن يسيطر عليها يصبح الحاكم الشرعي للمسلمين.

٢- وجود قبور كثير من آل بيت النبي في المدينة، وكان الشيعة الامامية الاثنى عشرية يهتمون بزيارة قبور آل البيت والبكاء والدعاء عندها. لذا من الطبيعي أن تكثر زيارتهم للمدينة، ويمكن أدى ذلك إلى هجرة بعضهم إليها واستقرارهم فيها.

٣- كان الشيعة يخشون القيام بنشر دعوتهم في مكة لكثرة الوافدين إليها وعلى وجه الخصوص قوافل الحج القادمة من العراق والشام ومصر، لأن الخلفاء والسلاطين كانوا يرسلون من ينوب عنهم في قيادة قوافل الحج لمكة ويخرج مع هذه القوافل الحرس ليحموها من أي خطر، ومن الطبيعي أن تنقل هذه القوافل الأخبار وما يحدث في مكة إلى الخلفاء والحكام. لذلك فإن أي تغيير مذهبي يحدث في الوظائف الهامة فيها سوف يكون ظاهرا وسيعرف به العباسيون والأيوبيون، وبالتأكيد لن يقبلوا ذلك. أما المدينة فقليلا ما كانت تلك القوافل تزورها وإن زارتها فهي لا تبقى فيها مدة طويلة. لذلك فهي أكثر أمانا لدعاة الشيعة.

٤- قرب المدينة لبلاد العراق أكثر من مكة مما يسهل انتقال دعاة الشيعة الإمامية إليها .

٥- هجرة أسرة القيشاني من العراق إلى المدينة. وقد اشتهرت هذه الأسرة بنشاطها الدعوي للمذهب الاثنى عشر.

٦- العلاقات الحسنة بين أمراء المدينة ( وهم من الشيعة الاثنى عشرية) مع الخلفاء العباسيين والسلاطين الأيوبيين.

٧- دعم الأمراء ومساندتهم لدعاة الشيعة مما أدى إلى تحرك الدعاة بحرية.

٨- لان أمراء المدينة كانوا من الشيعة الاثنى عشرية وكان بيدهم تعيين القضاة والخطباء فمن الطبيعي أن يتم تعين أفراد من الشيعة الاثنى عشرية في تلك الوظائف الهامة.

**٦- نهاية نفوذ الشيعة في المدينة المنورة :**

يقول السخاوي:" أن الأمير سعد بن ثابت بن جماز منع آل سنان من التعرض للأحكام وعقد الانكحة عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م ، ورد الأمر كله إلى أهل السنة، تقربا إلى السلاطين

المماليك، بإظهار السنة وإخماد البدع، وأمر بالنداء في المدينة أن لا يحكم مع القاضي شمس الدين بن السبع أحد غيره. ومن يومئذ انقطع أمر الشيعة في المدينة.[١١١]

وإذا أردنا أن نرسم خطا زمنيا لتطور الإمامية وسلطتها في المدينة لكان هذا الخط يبدأ في النصف الثاني للقرن السادس الهجري وينمو بسرعة ويبلغ ذروته في القرن السابع الهجري حيث تسلم الإماميون القضاء والخطبة في المسجد النبوي، ويستمر حتى منتصف القرن السابع الهجري، حيث يبدأ خط الانحدار متذبذبا فيهبط درجتين حينا ويصعد درجة واحدة حينا آخر حتى يبلغ نهاية العصر المملوكي ويتوقف صعوده تماما في العهد العثماني.[١١٢]

كانت بداية تراجع السلطة الإمامية في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري، وكان ميدانها الأول الخطابة في المسجد النبوي، فقد أرسل السلطان المملوكي المنصور قلاوون[١١٣] في سنة ٦٨٢هـ الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضري من مصر بمرسوم يوليه فيه الخطابة في المسجد النبوي، فتسلمها من آل سنان الذين بقيت لهم الإمامة والقضاء. ولقي الشيخ سراج الدين مضايقات من بعض الإمامية فلم يستقر في العمل، وعلم السلطان بما يلاقيه من أذى فصار يبعث مع الحجاج شخصا يقيم لأهل السنة الخطابة والإمامة إلى نصف السنة، ثم يأتي غيره في نصف السنة الآخر. وكان كل من جاء لا يقدر على الإقامة نصف سنة إلا بمشقة، لتسلط الإمامية من الأشراف وغيرهم عليه.[١١٤]وفي العقد الأول من القرن الثامن أي بعد حوالي عشرين سنة من تحول الخطبة من الإماميين، جاءت الخطوة الثانية وهي إنهاء تفرد الإماميين بالقضاء وتعيين قاض لأهل السنة. وقد جاءت هذه الخطوة بطلب من المجاورين الذين كثر عددهم فطلبوا من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون أن يكون لأهل السنة قاض يحكم بينهم على مذهبهم. فجاء تقليد بذلك للقاضي سراج الدين وجاءته

---

١١١ السخاوي، التحفة، ١٢٥/٢.

١١٢ عبد الباسط بدر، السابق، ٢٣٠.

١١٣ المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية ورأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي ما يزيد على قرن من الزمان، كان من رجال الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة، وعلا شأنه بعد ذلك، فكان من كبار الأمراء أصحاب النفوذ في دولة بيبرس، وبويع له بالسلطنة في الحادي عشر من رجب سنة ٦٧٨هـ خلفاً للملك الصغير العادل بدر الدين سُلامش.

١١٤ ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٢٠٦، عبد الباسط بدر، السابق، ص٢٣١.

الخلعة وألف درهم.[115] كان الشيخ سراج الدين قد عرف الحياة في المدينة عندما تولى الخطابة فيها فأدرك أنه سيلاقي مشاكل من بعض الإماميين لأنه أخذ قسما مهما من سلطتهم ومن مورد رزقهم. فقد كان القضاة الإماميون يستوفون من المختصمين أتعابهم أو بعضها، وتحول المختصمين من أهل السنة وهم كثيرون إلى قاض آخر سيؤثر على دخلهم . لذلك عرف سراج الدين أنه إذا لم يجد حماية كافية فسيتعرض للأذى، وأن عليه أن يتصرف بذكاء وحكمة. لذا طلب أن يحضر الأمير منصور بن جماز ( ٦٥٥-٧٢٥هـ/١٢٥٧-١٣٢٥م) مراسيم التولية، وقال أنا لا أتولى حتى يحضر الأمير منصور فلما حضر الأمير قال له سراج: "قد جاءني من السلطان مرسوم بتولي القضاء لأهل السنة، وأنا لا أقبل حتى تكون أنت المولي لي، فانك أن لم تكن معي لم يتم أمري ولم ينفذ حكمي، فقال له الأمير: قد رضيت وأذنت، فاحكم ولا تغير شيئا من أحكامنا ولا حكامنا".[116] واستمر الحال على ذلك مدة من الزمن، يحكم القاضي السني بين المجاورين وأهل السنة، ويحكم آل سنان بين الشيعة. وإذا حدث خلاف بين سني وشيعي فالذي يحكم بينهم القاضي الشيعي.[117]

ورغم حماية الأمير لقي القاضي سراج الدين مشاكل من بعض المتطرفين والمتعصبين من الشيعة الامامية، فكان بعضهم يرجمه بالحصى وهو يخطب على المنبر، وكانوا يغلقون عليه بابه أو يلطخونه بالنجاسة، فصبر واحتسب.

استطاع القاضي سراج الدين أن يتجاوز ردة فعل المتشددين من الشيعة بحسن تصرفه وتواصله مع الإماميين وخاصة قضاتهم وشيوخهم، فلم يتقدم عليهم رغم أنه معين بمرسوم من السلطان، واستعان بأعوانهم واعتمد في تنفيذ الأحكام على رجالهم والسجن الذي بأيديهم. وتطورت العلاقة بينه وبينهم حتى تزوج ابنة رئيسهم وفقيههم القيشاني، فانكف عنه الأذى.[118]

بقي سراج في وظائفه( الخطابة والقضاء) حتى سنة ٧٢٦هـ وكانت الفترة التي تولى فيها القضاء والخطابة فترة انتقالية جيدة حالت دون ظهور مضاعفات لانتقال القضاء والخطابة من الشيعة إلى السنة. وأوجدت تداخلا أفضل في العلاقات بين الإماميين والسنيين في القضاء. وبعد وفاته توزعت مناصبه فخلفه في القضاء يعقوب بن جمال القرشي الهاشمي، وفي الخطابة وإمامة أهل السنة البهاء بن سلامة المصري. وبعد سنتين تولى محمد بن محمد

---

١١٥ ابن فرحون، السابق، ص٢١٠، عبد الباسط بدر، السابق ، ص٢٣١.

١١٦ السابقان.

١١٧ السابقان.

١١٨ السابقان.

الاميوطي، وكان قوي الشخصية حازما، فتصدى للبدع التي ظهرت في عهد الفاطميين واستمرت إلى عهد المماليك، ومنها الاحتفال بليلة النصف من شعبان.[١١٩] وسعى إلى جمع صفوف المسلمين في المدينة على اختلاف مذاهبهم. وكان الإماميون ينفردون في صلاة العيد بموقع قريب من مصلى العيد لأهل السنة، فيه مسجد اسمه مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوحد الأميوطي الصلاة في مصلى واحد سنة ٧٣٦هـ، ومنع الشيعة من صلاة الظهر يوم الجمعة، ورأى رجلا يصلي الجمعة أربعا فنزل من المنبر وضربه، حرصا على جمع شمل المسلمين.[١٢٠] وقد أعانه على ذلك تولي الأمير ودي بن جماز الإمارة،[١٢١] والذي وصفه ابن حجر العسقلاني بأنه مقيم للسنة ومعليها، ورافض الرافضة ومقصيها.[١٢٢]وهذا يفسر تغير الموازين لصالح السنة وأهلها في فترة إمارته. ولكن لم يستطع الاميوطي والأمير ودي إلغاء وظائف القضاء الخاصة بالإمامية فاستمر قضاتهم يحكمون في الدعاوى التي ترفع إليهم.[١٢٣] تولى منصب القضاء والخطابة والإمامة بعد الاميوطي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني، فواصل سياسة سلفه في منع البدع ومحاربة ظواهر الانقسام، ومنع الأحكام التي يتفرد بها الإماميون وخاصة نكاح المتعة وسب الصحابة. وكان نائبه عبد الله بن فرحون بارعا في استمالة الناس إليه،[١٢٤] فانصرف الناس عن قضاة الإمامية، فانقطع أو كاد دخلهم من القضاء، وضعفت سيادتهم على القضاء منذ ذلك الحين وبدأ نفوذهم وسلطتهم في

---

١١٩ كانت تحدث في هذه الاحتفالات المبتدعة مخالفات شرعية منها الصخب والصياح واختلاط النساء بالرجال. انظر، ابن فرحون، ٢١٦، السخاوي، ٥٤/١، عبد الباسط بدر،٢٣٢.

١٢٠ السخاوي، التحفة، ٢٣٢/١.

١٢١ حاول الاستيلاء على الإمارة عدة مرات بين عامي٧٢٧-٧٢٩، ولم يفلح، ثم استصدر مرسوما من السلطان بتولي إمارة المدينة سنة ٧٣٦هـ وبقي في الإمارة حتى سنة ٧٤٣هـ. انظر عارف عبد الغني، أمراء المدينة، ٢٧٥.

١٢٢ ابن حجر، الدرر الكامنة،٤/ ٤٠٧.

١٢٣ السخاوي، التحفة، ٥٤/١.

١٢٤ يقول ابن فرحون عن سياسته التي استمال بها الناس اليه وصرفهم عن القضاة الاماميين: "فسلكت مع الناس سبيل السياسة، وجريت على الصلح بين الخصوم فمال إلي أهل المدينة، ورأوني لا أخذ منهم شيئا في حكم ولا ورقة، بل اعطي من عندي ما أتحقق ضرورته من الغرماء، فأحبني أهل البلد ومالوا عن القضاة الامامية لأنهم كانوا إذا حكموا طلبوا من المحكوم له شيئا وان كتبوا لأحد ورقة طلبوا أجرا، ويقبلوا من الشهود من كان من رعاع الناس". ( ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص ٢١٧).

الانحسار. وولي بعد الهوريني البدر بن أحمد القيسي، وتابع سياسة سلفه غير أن طفيل بن منور خفف من اندفاعه ومنعه من التعرض للأشراف.[١٢٥]

وفي عام ٧٥٠هـ تولى سعد بن ثابت بن جماز إمارة المدينة وتولى معه القضاء شمس الدين محمد بن السبع، فحسم الأمر نهائيا وألغى قضاء الامامية وحصر القضاء بمن يعينه السلطان من السنة. يقول السخاوي عن إمارة سعد:" وبدأ برفع آل سنان ونحوهم من التعرض للأحكام وعقد الانكحة وغيرها، ورد الأمر جميعه لأهل السنة تقربا لقلوب السلطنة بإظهار السنة وإخماد البدعة، وأمر بالنداء في المدينة في ثامن عشر من ذي الحجة من سنة ٧٥٠هـ إلا يحكم مع القاضي شمس الدين ابن السبع غيره، ومن تعرض لذلك فلا يلومن إلا نفسه. ومن يومئذ انقطع أمر الشيعة وانتهت سلطتهم على وظائف القضاء والخطابة والإمامة.[١٢٦]

ظل الإماميون بعد ذلك فئة من أهل المدينة فيهم أشراف حسينيون وفيهم ورثت الإمامية عن أسلافهم منذ دعوة آل القيشاني، يضاف إليهم بعض المجاورين من الشيعة العراقيين والفرس وغيرهم.

## الخاتمـــة:

اهتم هذا البحث بموضوع الشيعة في المدينة، وكيف تم تحول السلطة والوظائف الهامة فيها من يد أهل السنة إلى يد الشيعة. ومتى انتشر المذهب الشيعي في المدينة وصار له قاعدة، وما حجمها. والى أي الفرق الشيعية ينتسب شيعة المدينة. وهل صحيح أنه تحول أكثر أهل المدينة من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، أم أن شيعة المدينة كانوا من الوافدين، وكيف تناولت الكتب التاريخية هذا الموضوع. ثم لماذا أهمل من جاء بعد ذلك في التحدث عن هذه القضية.

**وقد توصل البحث الى عدد من النتائج التاريخية على النحو التالي:**

- من أهم الأحداث التي حدثت في المدينة في العصر الأيوبي، هو تحول السلطة والنفوذ من يد أهل المدينة السنيين إلى الشيعة الإماميين، حيث يفاجأ دارس تاريخ المدينة في العصر الأيوبي بأن الإمارة والقضاء والإمامة والخطابة في المسجد النبوي أصبحت جميعها بيد الشيعة.

---

١٢٥ السخاوي ، ٥٥/١.

١٢٦ السخاوي ، ١٢٥/٢.

- رغم أهمية ما حدث في المدينة في العصر الأيوبي من تحول السلطة إلي الشيعة، إلا أنه يلاحظ أن أكثر من كتب عن تاريخ المدينة يهمل الحديث عن هذا الموضوع، وإذا وجد نصا أو اثنين في أحد المصادر نجده لا يقدم معلومات كافية عما يقوله ولا يدعم كلامه بالدليل ولا يذكر مصدر معلوماته.
- أن المذهب الشيعي كمذهب وبجميع فرقه لم يكن موجودا في عهد النبي.
- رغم أن بعض المصادر التاريخية اختلفت في تحديد زمن ظهور التشيع في المدينة والدعوة له، إلا أنه يمكن القول أنه لم يظهر التشيع في المدينة طيلة الخمسة قرون الأولى حسبما جاء في المصادر المتوفرة، بل كان عمل أهلها حجة لغيرهم وكانوا متمسكين بالسنة ومنتسبين لمذهب الإمام مالك بن أنس.
- لم يستطع الفاطميون نشر مذهبهم في المدينة طيلة تبعيتها لهم عمليا.
- من أهم النصوص التاريخية عن المدينة في العصر الأيوبي، النصوص التي تذكر أن كثير من أهل المدينة تحولوا من مذهب السنة إلى المذهب الإمامي الشيعي، وأنه غلب فيهم الرفض بسبب حاجتهم إلى المال، ولكن بعد دراسة تلك النصوص والرجوع إلى الكتب التاريخية الأخرى للتأكد من صحة تلك الروايات لوحظ أن في بعضها الكثير من المبالغات وأنها غير مدعومة بالأدلة التي تثبت صحتها.
- لا يمكن لأحد أن يحكم على سكان إقليم كبير مثل الحجاز من خلال زيارة قصيرة أو من معلومات ينقلها له الآخرون.
- يمكن الاستنتاج بان ظهور التشيع في المدينة قد تم على مراحل، أولها كان تشيع بعض الأشراف، ولكنهم لم يفكروا في نشر المذهب الشيعي في المدينة إما لأنهم كانوا مشغولين بالتنافس على الإمارة أو لأنهم كانوا من الشيعة المعتدلين الذين يفضلون أن تكون علاقتهم بالسنيين حسنة، أو لأنهم كانوا يخافون من الخلفاء والسلاطين أن يعاقبوهم على ذلك. والمرحلة الثانية هي قدوم بعض الدعاة الشيعة الإمامية إلى المدينة بقصد نشر مذهبهم والدعوة إليه، ومنهم أسرة القاشاني. والمرحلة الثالثة تحول منصب القضاء والإمامة والخطابة إليهم.
- من أهم أسباب تحول السلطة والنفوذ إلى يد الإمامية في المدينة، انشغال السلطان صلاح الدين الأيوبي في الجهاد ضد الصليبيين، وملازمة أمير المدينة أبو فليتة قاسم بن المهنا الذي كان إمامي المذهب لصلاح الدين في غزواته.

- ومن العوامل التي ساعدت الشيعة الإمامية في المدينة وأدت إلى تقويتها، تولي أبناء أبي فليتة القاسم بن المهنا الذين كانوا إماميين إمارة المدينة، وأن الدولة الأيوبية التي تتبعها المدينة كانت مشغولة بالصراعات المتقطعة بين أبناء صلاح الدين، والتي انتهت بتحول الملك إلى المماليك سنة ٦٤٨هـ، كانت هذه الأجواء المضطربة مناسبة لأمراء المدينة كي يناصروا الامامية.
- استطاع الشيعة في مدة قصيرة من السيطرة على أهم الوظائف في المدينة مما كان له أثر كبير على جميع مجالات الحياة فيها.
- رغم سيطرة الشيعة على أهم الوظائف السياسية والدينية في المدينة إلا أنه يمكن القول أنه لم ينتشر مذهبهم بين سكانها بدليل أنه لم ينقل مؤرخ واحد أنه كانت لهم مدارس لتدريس مذهبهم، كما لم يذكر أحد أسماء علمائهم وشيوخهم ودعاتهم.
- بالغ البعض في تصوير الوجود الشيعي بالمدينة بدون أن يتحدث عن أحداث لها علاقة بالشيعة أو أن يذكر اسم شخص واحد من أهلها تحول من مذهب السنة إلى المذهب الشيعي.
- لا يوجد في تاريخ المدينة في تلك الفترة سوى نصوص قليلة جدا تتحدث عن الشيعة الامامية بشكل عام، جاء أكثرها في كتاب ابن فرحون، ولكن للأسف لا يوجد تحديد لاسم أي شخص أو أسرة منهم، وإنما كان الكلام عنهم في الغالب على وجه العموم، ويمكن القول أنه لا يعرف من أسماء الامامية في المدينة إلا ثلاث أسر هي بعض الأشراف وآل سنان وآل القاشاني فقط.
- أن المدة التي بقت السلطة والنفوذ فيها بيد الشيعة في المدينة هي في حدود ١٥٠ سنة من حوالي ٦٠٠هـ إلى ٧٥٤هـ وهو تاريخ إلغاء قضاء الإمامية.